الفِتَنُ والمَلاحِمُ
وأشْرَاطُ السَّاعَةِ

إعداد

أسامة بدوي

الجزء الثاني

(الفتن، والمبشرات، وعلامات الساعة الكبرى،
ونهاية البشرية)

(الطَّبعة الأولى)

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ٥٦٣١ /٢٠١٧

الترقيم الدولي: ١ - ٠٥٠ - ٧٤٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مكتبة البلد الأمين:

تليفون: ٠١١١١٧١٨٧٢٧

•• مراكز التوزيع:

مكتبة الاستقامة: ٠١١٢٤٥٤٧٠٦٤

دار سطور: ٠١٠٠١٣٣٢٣٧٢ - ٠١١٠٠٦٣٥٠٠٦

الفصل الأول

(الفتن)

أولاً: تعريف الفتن:

• **الفتن**: جمع فتنة، تقول العرب فتنتُ الذهبَ والفضةَ في النار؛ أي أحرقتُهما فيها لتمييز الرَّديء من الجيِّد منهما.

فأصل الكلمة هو الإحراق بغرض التمييز والاختبار والامتحان لتخليص الشوائب، وتمييز الجيِّد من الرديء.

• **الإحراق**: قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ١٣** ﴾[الذاريات]، أي: يُحرَقون، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ** ﴾[البروج:١٠]، أي: أحرقوهم في الأخدود.

• **الامتحان والاختبار**: قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢** ﴾[العنكبوت]: أي يُترَكون دون اختبار وتمحيص في أموالهم وأنفسهم ليتميَّز صادق الإيمان من غيره.

وقال تعالى في المنافقين: ﴿ **أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ** ﴾[التوبة: ١٢٦]، معناه: يُختَبرون بالدعاء إلى الجهاد فلا يَستجيبون، وقوله تعالى على لسان هاروتَ وماروتَ: ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** ﴾[البقرة: ١٠٢]، أي: إنما نحن اختبار وابتلاء لكم.

• **الخلوص من الشوائب من خلال الابتلاء**: قال تعالى لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ **وَفَتَنَّٰكَ**

فُتُونًا ﴾[طه:٤٠]، أي: ابتليناك بالشدائد والمِحَنِ، وأخلصناك لمقام الرسالة إخلاصًا.

▫ ومن معاني الفتنة المجازية:

١ـ الضلال والإثم والميل عن الحقِّ: قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ [الصافات] أي: لا تقدرون أن تُميلوا عن الحقِّ إلا من قدَّر الله سبحانه وتعالىٰ له ذلك، وكان من أهل الجحيم، ويُقال عن الشيطان فتَّان؛ لأنه يَميل بالناس عن طريق الحقِّ بخداعه وغروره وتزيينه المعاصي.

والفاتِنُ: المُضِلُّ عن الحقِّ، قال تعالىٰ عن لسان المنافقين: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ ﴾ [التوبة: ٤٩]، اسمح لي بعدم الخروج معك لقتال الروم - بني الأصفر - حتىٰ لا أضلَّ بسبب بناتهم فأقعَ في الإثم.

٢ـ الكفر: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴾[البقرة: ١٩١]، والمراد بها الكفر.

٣ـ الجنون والميل عن اعتدال العقل: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦﴾ [القلم]، أي: المجنون الذي خرج عن طَوْرِ الصواب.

٤ـ الإعجاب بالشيء أو الوَلَهُ به وما يَتَرَتَّبُ عليه من فجور: يُقال: افتُتِنَ الرجلُ بالمرأة إذا أُعجِب بها وتعلَّق بها تعلُّقًا عجيبًا، ويُقال: فُتِنَ إلىٰ النساء: إذا أراد الفجور بهنَّ.

٥ـ القتل واختلاف الناس في الآراء: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ ﴾[يونس: ٨٣] أي: علىٰ خوف من فرعون أن يقتلهم.

- يقول ابْنُ الأعرابي: «الفتنة: الاختبار، والفتنة: المحنة، والفتنة: المال،

والفتنة: الأولاد، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَصْلُ الْفِتْنَةِ الإِخْتِبَارُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِيمَا أَخْرَجَتْهُ الْمِحْنَةُ وَالإِخْتِبَارُ إِلَى الْمَكْرُوهِ، ثُمَّ أُطْلِقَتْ عَلَىٰ كُلِّ مَكْرُوهٍ أَوْ آيِلٍ إِلَيْهِ كَالْكُفْرِ وَالْإِثْمِ وَالتَّحْرِيقِ وَالْفَضِيحَةِ وَالْفُجُور »[٢]، وغير ذلك.

- **وملخص الفتنة:**

فالفتنة تطلق علىٰ كل ما يَفتن الإنسان في دينه من مال، أو جاه أو سلطان، أو شبهة أو شهوة، أو تسلط الكافرين، أو فوضى تؤدي إلىٰ عصبية، أو ما يَتَرَتَّبُ عليه ضلال وميل عن طريق الحقِّ واختلاف القلوب، وما ينتج عنه من القتل والتخريب، أو وقوعهم في الإثم أو الضلال، أو الخروج من دين الإسلام إلىٰ الكفر.

- **تحذير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قرب الفتنة:**

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: **{سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ}**[٣].

- الحديث فيه إشارة إلىٰ قرب الفتن وكثرتها، وأيقظ زوجاتِه للصلاة في جوف الليل لتكون الصلاة نجاة لهن من هذه الفتن، وهذه إشارة إلىٰ أن الصلاة في جوف الليل من العواصم من الفتن.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣١٧ وما بعدها).
(٢) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٥).
(٣) أخرجه البخاري: ك: العلم، ب: العلم والعظة بالليل، ح (١١٥).

كما قال ابن حجر: « فِي الْحَدِيثِ جَوَازُ قَوْلِ سُبْحَانَ اللهِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ، وَنَدْبِيَّةُ ذِكْرِ اللهِ بَعْدَ الاِسْتِيقَاظِ، وَإِيقَاظُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ بِاللَّيْلِ لِلْعِبَادَةِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ آيَةٍ تَحْدُثُ، ... وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الْإِسْرَاعِ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ خَشْيَةِ الشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ**﴾ [البقرة:٤٥]، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأَمَرَ مَنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ،.. وَفِيهِ التَّسْبِيحُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَهُولَةِ »(١).

وَعَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: { **هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى، إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ** }(٢).

• يُحذِّر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الفتن القريبة منهم، وشبَّه نزولَها بالمطر للدلالة على عموم هذه الفتن وانتشارها، وهذا ما وقع بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• وهذا الحديث من دلائل النبوة، فوقع كما أخبر، وكان لكل بيت نصيب منها، وإن قلَّ. فما حدث في موقعة الجمل وصفِّين والنهروان دليل على ذلك.

• وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ** }، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: { **تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ** }، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: { **تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ**

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١/ ٢٥٥).
(٢) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: آطام المدينة، ح (١٨٧٨).

الْقَبْرِ } قَالُوا: نَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: **{ تَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }** قَالُوا: نَعُوذُ بِالله مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: **{ تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّال }**. قَالُوا: نَعُوذُ بِالله مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّال [(١)].

• وفي الحديث درس عملي للاستجارة بالله من عظائم الأمور، ومن الفتن التي لا تكون ظاهرة للجميع؛ لأن هناك فتنًا باطنة قد يقع الإنسان فيها دون إدراك منه أو تمييز لها، وهذا يتفق مع كون الفتنة يتلَّبس فيها الحقُّ والباطلُ، والخيرُ والشرُّ، بل قد تدخل على قلب الإنسان من باب الخير .

• عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ايْمُ الله [(٢)]، لَقَدْ سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا }**[(٣)].

وقد اعتبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنوان السعادة للمرء تجنُّبَ الفتن، وعدم التعرُّض لها، وأن من أصابته فتنة فصبر وثبت على اعتصامه بالدِّين كان محل إعجاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكل أمر اشتبه على المسلم، ولم يَسْتَبِنْ فيه الحق من الباطل فهو من الفتن

---

(١) أخرجه مسلم: ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، ح (٢٨٦٧)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ايم الله: هو أحد ألفاظ القسم بالله، واهًا: من ألفاظ التعجب، كأنه قال: ما أحسن، وما أطيب من ابتلي فصبر على البلاء.

(٣) أخرجه أبو داود: ك: الفتن والملاحم، ب: النهي عن السعي في الفتنة، ح (٤٢٦٣)، والحديث حسن (انظر العدوي: الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم)، (٢٣٨).

الواجب اجتنابها، خاصة إذا ترتَّب علىٰ هذا الأمر فرقة أو اختلاف في القلوب، أو خوض في الدماء، أو إثارة للنفوس وتهييجها، كما هو واقع في أيامنا هذه، نسأل الله تعالىٰ السلامة والعافية.

وما يصيب هذه الأمَّة من الفتن ما هو إلا عنوان من عناوين الرحمة بها بتعجيل عقوبة بعض الذنوب في الدنيا، وعدم الانجراف فيها، وتفضيلها على الآخرة.

ثانيًا: موطن الفتنة، ومنبع خروجها:

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، قَالَ: « يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلَكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ، وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ، سَمِعْتُ أَبِي عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سمعتُ رسولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: { **إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا** } وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ { **مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ** } وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ »(١).

قَرْنَا الشَّيْطَانِ: مثنَّىٰ قَرْن، وقد يُراد به حبائل الشيطان أو أعوان الشيطان الذين يرتكز أكثرهم في جهة الشرق عمومًا؛ فالمقصود بقرنَي الشيطان شِيعته أو جمعه من الكفار الذين يُغريهم بإضلال الناس (٢).

- وجِهة الشرق وعلىٰ وجه الخصوص هو العراق، والذي خرجت منه فتنة مقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم انتشرت في باقي البلاد، بل تاريخ الفرق المارقة في الإسلام كان منشأ أكثرِهم من العراق.

وفي الحديث إشارة إلىٰ استهانة أهل العراق بالدماء، بسبب تأويلاتهم الفاسدة

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، باب، ح (٣٥١١). ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، ح (٢٩٠٥)، واللفظ له.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣٣٤)، وفتح الباري (١٣/ ٥١).

التي استباحوا بها دماء بعضِهم بعضًا.

• وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **مِنْ هَا هُنَا جَاءَتِ الفِتَنُ، نَحْوَ المَشْرِقِ، وَالجَفَاءُ وَغِلَظُ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ أَهْلِ الوَبَرِ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ وَالبَقَرِ، فِي رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ** }(١).

• في هذا الحديث ربط بين الفتنة في جهة الشرق، وبين غلظة قلوب ربيعة ومُضَرٍ (وهما قبيلتان عربيتان ينسب إليها أكثر القبائل العربية) وانشغالهم بالدنيا على حساب دينهم، وهو أهم أسباب إثارة الفتن؛ فالانشغال بالدنيا وتعظيمها وطلبها مقابل الإعراض عن الدين وتعاليمه مما يسبب قسوة القلب وغلظتها، وستكون مُضَرُ مِشعلًا من مشاعل الفتن في الأرض، وسيكون فيها أو أحياء منها من يلاحق المؤمنين إما بفتنتهم أو بقتلهم إلى أن يأتي أمر الله سبحانه وتعالى بإطفاء شعلتهم وردِّ كيدهم.

وَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « وَاللهِ لَا تَدَعُ مُضَرُ عَبْدًا للهِ مُؤْمِنًا إِلَّا فَتَنُوهُ أَوْ قَتَلُوهُ، أَوْ يَضْرِبُهُمُ اللهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، حَتَّى لَا يَمْنَعُوا ذَنَبَ تَلْعَةٍ »، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَتَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ وَأَنْتَ رَجُلٌ مِنْ مُضَرَ؟ قَالَ: لَا أَقُولُ إِلَّا مَا قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ح (٣٤٩٨)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ح (٥١).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٣٣٤٩)، والحاكم في الفتن والملاحم، ح (٨٤٥١) وصحَّحه وأقرَّه الذهبي، المستدرك (٤/ ٥١٧).

ثالثًا: فتن الشَّهَوات:

قال تعالىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم]

معلوم أن الشيطان يدخل علىٰ قلب الإنسان من بابين هما الشَّهَوات والشُّبُهات، فيتعلَّق قلب الإنسان بالدنيا، فيرتع في الشَّهَوات التي تكون مصيدته إلىٰ الشُّبُهات، وطلب الشَّهَوات مَدعاة للإعراض عن الآخرة؛ لذا ربط القرآن بين تضييع الصلاة واتباع الشَّهَوات.

قال تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران].

فأشدُّ شَهَوات الدنيا إغواءً أو شُمولًا في التأثير: النساء، ثم البنين، ثم المال وما يتعلَّق به من منصب وجاهٍ، ثم فتنة القرَّاء، وخاصَّة في آخر الزمان.

- وسيأتي زمان يكون فيه خَلْفٌ يقرءون القرآن لا يَعدو تراقيَهم، ويقرأ القرآنَ ثلاثةٌ: « **مُنَافِقٌ كَافِرٌ بِهِ، وَفَاجِرٌ يَتَأَكَّلُ بِهِ، وَمُؤْمِنٌ يُؤْمِنُ بِهِ** » (١).

وحول هذه الآية نتناول خمسة مطالب:

◘ المطلب الأول: فتنة الدنيا:

ومنشؤها غفلة الأمَّة أو أفراد منها عن عظمة الآخرة.

---

(١) من حديث أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم، ح (٨٦٤٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وأقره الذهبي (المستدرك ٤/ ٥٩٠).

عَنْ عَمْرِو بْنَ عَوْفٍ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَىٰ البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، ... فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَلَمَّا صَلَّىٰ بِهِمُ الفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: **{ أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟}**، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **{ فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَالله لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخَشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ }**[(١)].

• في الحديث دلالة واضحة علىٰ أن انبساط الدنيا يَتَرَتَّبُ عليه المنافسة المُفضية للهلاك، وكم أُزهِقت أرواحٌ لأجل الدنيا وزينتها، وطمعًا في الملك الزائف، كما حدث في أواخر الدولة الأموية والدولة العباسية.

• والتوسُّع في الدنيا، والخروج بها من دائرة الحاجات إلىٰ دائرة التَّرَفِ والشَّهَوات سبب أكيد في الهلاك، ولقد ربط القرآن بين التَّرَفِ، وبين وقوع العقاب، وفي إشارة إلىٰ أن التَّرَفَ سبب موجب للعقاب.

وفي الحديث: **{ .. وَإِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ، فَهُوَ كَالآكِلِ الَّذِي لاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ }**[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري: الجزية، ب: الجزية والموادعة مع أهل الحرب، ح (٣١٥٨).
(٢) من حديث أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: فضل النفقة في سبيل الله، ح (٢٨٤٢).

• فقد يقع الشرُّ الحقيقي في إقبال الدنيا وتزيُّنِها وفَتْنِها للمؤمن، وقد يكون إعراضُها عن المؤمن باب من أبواب العناية الإلهية له.

• وفِتنة الدنيا لا يَسلَم منها أحدٌ، فَعَنْ وَبَرَةَ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَقَدْ أَحْرَمْتُ بِالْحَجِّ؟ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ فُلَانٍ يَكْرَهُهُ وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ، رَأَيْنَاهُ قَدْ فَتَنَتْهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ: وَأَيُّنَا - أَوْ أَيُّكُمْ - لَمْ تَفْتِنْهُ الدُّنْيَا؟ ثُمَّ قَالَ: «رَأَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ، وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَسُنَّةُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ أَنْ تَتَّبِعَ مِنْ سُنَّةِ فُلَانٍ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا»(١).

والمراد بابن فلان الذي أفتَى بالكراهة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وزعم الرجل بأنه فتنته الدنيا لَمَّا قبل أن يكون واليًا على البصرة، والولاية محل الخطر والفتنة، وقول ابن عمر أيكم لم تفتنه الدنيا من باب التواضع، وحسن الأدب خاصة عندما رأى من البعض أنهم يُعَرِّضون بحَبر الأمَّة ابنِ عباس؛ فكأنه يقول للسائل بأن ما تحذَرُه من ابنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد وقع فيه الجميع، ولكلٍّ نصيبٌ من فتنة الدنيا، وبشكل يغاير الآخرة.

• والأصل في هذه الأمَّة الخاتمة أنها أمَّة آخرة، وصلاح الدنيا في حقها إنما يكون نتيجة لصلاح الآخرة في قلوبهم وسلوكهم، فإذا ابتُلِيَت الأمَّة بمن لا يهتم إلا بصلاح الدنيا ـ ولو كان ذلك على حساب خراب الآخرة ـ، فهذه هي الطامة الكبرى

(١) أخرجه مسلم في الحج، ب: ما يلزم من أحرم بالحج ثم قدم مكة من الطواف والسعي ح (١٢٣٣).

والفتنة العظمى، وخاصة إذا ساق صلاح الدنيا على أنه هو عين صلاح الآخرة.

• **وأي فتنة أعظم من أن يكون علماء الدين ونسَّاك الأمَّة في الظاهر هم أنفسهم عبَّاد الدنيا، وأي توجيه سليم ستناله العامَّة من أمثال هؤلاء؟!**

ويندرج تحت هذه الفئة المسبِّبة للفتنة كلُّ من تعلَّم علوم الآخرة لأجل الدنيا، وهم كُثُرٌ في زماننا، ولهم نصيب فيما ابتُلِيَتْ به الأمَّة من فِتَنٍ، ووقع الناس في حَيرة من أمرهم، واشتبه عليهم الحقُّ من الباطل.

◘ المطلب الثاني: فتنة النساء:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ** }(١).

لقد انتبه أعداء الأمَّة لهذا المعنى؛ فافتعلوا تلك المعركة المسمَّاة تارة بتحرير المرأة، وتارة بقرارات مؤتمر السكان، وتارة بحقوق المرأة، وأنفقوا على هذه المعركة المليارات، ومازالوا ينفقون، وكان هدفهم هو تحرير المرأة المسلمة من عِفَّتها وكرامتها وحيائها، وتحويلها لسلعة في سوق النخاسة العالمي، وقد نالوا مآربهم إلا من رحم الله، وكانت المرأة هي الخاسر الأكبر لما حادت عن فطرتها التي جُبِلت عليها، وأصبحت داعية الشيطان بعد أن كانت داعية الرحمن **جَلَّ وَعَلَا**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: النكاح، ب: ما يتقى من شؤم المرأة، ح (٥٠٩٦)، ومسلم: ك: الرقاق، ب: أكثر أهل الجنة الفقراء، ح (٢٧٤٠).

(٢) راجع في هذا الباب كتب: حراسة الفضيلة، المرأة في سوق النخاسة العالمي، قضية تحرير المرأة من كتاب واقعنا المعاصر، الإسلام بين كيد أعدائه وجهل أبنائه، وكتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

• وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ** }(١).

• في هذا الحديث إشارة إلى عِظَمِ فتنة النساء لتساويها بفتنة الدنيا بأكملها، وأنها فتنة مُهلِكة ومدمِّرة، ابتُلِيَت به أمَّة من قبلنا فكان هلاكهم بسببِها.

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا** }(٢).

• **وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ**: كاسية من حيث وجود الملابس عليها في أعراف الناس، ولكنها تعتبر عارية بالنسبة للمفهوم الشرعي لكِسْوَة المرأة؛ إمَّا لرِقَّة ملابسها، أو لضِيقها، أو لعدم سَترِها كامل العورة، وإمَّا لشفافية الملابس لما تحتها، وإما لكونها تشبه لباس الشهرة أو زيَّ الكافرات... إلخ.

وهذا الصِّنْفُ لم يَرَه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في زمانه، ولكنه مما ابتُلِيت به نساء أكثر المسلمين في زماننا، وهو دليل من دلائل النبوة حيث وقع الوصف الذي ذُكِرَ كما أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• **مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ**: وهذا وجه الفتنة، مُميلات لقلوب العِباد عن الحقِّ والعفَّة

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الرقاق، ب: أكثر أهل الجنة الفقراء، ح (٢٧٤٢).
(٢) أخرجه مسلم: ك: اللباس والزينة، ب: النساء الكاسيات، ح (٢١٢٨).

والفضيلة وصراط النجاة، فهن مُميلات لقلوب الرجال بفتنتهم، ومُميلات لغيرهن من النساء ليقتدين بهن، ومُميلات للدعاة للانشغال بفتنتهن عن الفتن والأخطار التي تحيط بالأمَّة.

• قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَأَمَّا مَائِلَاتٌ: فَقِيلَ: مَعْنَاهُ عَنْ طَاعَةِ الله وَمَا يَلْزَمُهُنَّ حِفْظُهُ، مُمِيلَاتٌ أَيْ: يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ فِعْلَهُنَّ الْمَذْمُومَ، وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشِينَ مُتَبَخْتِرَاتٍ، مُمِيلَاتٍ لِأَكْتَافِهِنَّ، وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشُطْنَ الْمِشْطَةَ الْمَائِلَةَ وَهِيَ مِشْطَةُ الْبَغَايَا، مُمِيلَاتٌ يَمْشُطْنَ غَيْرَهِنَّ تِلْكَ الْمِشْطَةَ »(١).

ولعله يُشِيرُ لما نعهده في زماننا هذا فيما يعرف باسم «الكوافير».

• والحديث يُشِيرُ إلىٰ عِظَمِ جُرْم هؤلاء النِّسوة، وضخامة الوِزر لدرجة أنهن لا يُحْرَمْنَ من دخول الجنة فقط، بل يُحْرَمْنَ من شَمِّ ريحها؛ وذلك للمبالغة في بيان مدىٰ عِظَمِ ما ارتكبن، وأنهنَّ لا تستحقِقْنَ التكريم.

• ولقد ارتبط الحجاب في عُرْفِ العرب بالعِفَّة، واعتبروه شعار الحرَّة دون الأمَّة.

• **ومن مظاهر فتنة النساء مع التبرج**: مزاحمتها للرجال في العمل، وفي وسائل المواصلات، والنوادي، وما يَتَرَتَّبُ عليه من اختلاط مذموم علىٰ مستوىٰ كافة المؤسَّسات.

• **ومن مظاهر هذه الفتنة**: ضعف الغَيرة عند الرجال، وغياب شخصية الرجل أمام المرأة، وانقياده لها، وسَعة التفويض، وقانون الأحوال الشخصية المعدَّل الذي يُعطي

---

(١) شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٢٦).

للمرأة ما يَتَرَتَّبُ عليه خراب الأسرة وتشتُّت الأولاد، وعدم تقديس الحياة الزوجية.

• **ومن جوانب فتنة النساء**: ما نراه عبر وسائل الإعلام أو عبر الإنترنت من استخدام مُهين للمرأة، واستخدامها كسلعة مُشتهاة للإغواء والإغراء، هذا ناهيك عن نوادي الرَّقْص والمُجون والأغاني والأفلام ..إلخ.

• هذا إنما يَخُصُّ جانب فتنة النساء، ويَصدُق على شريحة معيَّنة في المجتمع مستغلَّة للنساء والإفساد، يقابل ذلك المرأة المسلمة القائمة على أمر الله سبحانه وتعالى فهي أمل الأمَّة، ولها نظرة التكريم والإعجاب، وهي شقيقة الرجل في الوظيفة الدينية وفي الذَّود عن الإسلام، ولهن مواقف في زماننا تستحق أن تُسَطَّر بحروف من نور، فالمرأة شُعلة إن اتَّقدت في الخير كانت مَنارًا يُهتَدىٰ به، وإن استُغِلَّتْ في الشرِّ احترقت وأحرَقت.

◘ المطلب الثالث: فتنة المال:

قال الله تعالىٰ: ﴿ **وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨** ﴾[الأنفال].

ووجه الافتتان بهما: أنهما سبب في إلهاء الإنسان عن القيام بواجباته الدينية، والقيام بالطاعة، قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠** ﴾[طه].

فهذه الآية تُشير إلىٰ فتنة العِجل التي وقع فيها بنو إسرائيل، وهم إلىٰ يومنا هذا واقعون في لَوْثَتِها ، فتوجُّهاتهم لعبادة المال واستخدامه في الشرِّ واضحة في زماننا، وسيقع في فتنة المال أمَّةُ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

• عَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: { **إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ** }(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: { **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ** }(٢).

وَعَبْدُ الدِّينَارِ هو الحريص على طلبه وجمعه ومحبته، القائم عليه كأنه خادم له، فهو كالأسير الذي لا يجد منه خلاصًا، وصار عبدًا له لشَغَفِه وحِرصه ومحبَّته له.

• ومن أجل المال والَى الناس بعضُهم بعضًا، ولأجله عادى بعضُهم بعضًا، مما أدى إلى التنافس والتحاسد والتباغض والاقتتال.

فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: { **إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟** } قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ** }(٣).

الأمَّة الإسلامية في بداية عهدها تربَّت على التنافس في الآخرة، والإعراض عن الدنيا، ثم توجَّهت القلوب نحو الدنيا، والدنيا لا تتَّسِع لرغبات كل الناس، أو

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الزهد، ب: ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، ح (٢٣٣٦) وقال: حسن صحيح غريب، قال ابن حجر: أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم وصحَّحوه، الفتح (١١/ ٢٥٨).
(٢) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح (٢٨٨٦)، ح (٢٨٨٧).
(٣) أخرجه مسلم: ك: الزهد والرقائق، ح (٢٩٦٢).

لقضاء شهواتهم عندها يقعون في التحاسد؛ فالتحاسد نتيجة لازمة لتشوُّف الناس للدنيا وطلبهم لها، ونتيجة الحسد ذهاب الإيمان، ويَتَرَتَّبُ عليه التدابر والبغضاء، وهذه عين الفتنة.

• وفي الحديث تعوُّذه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فتنة الغِنَىٰ ومن فتنة الفقر(١).

والغِنَىٰ والفقر هما من قدر الله سبحانه وتعالىٰ، والفقر قيده الصبر، والغِنَىٰ قيده الشكر، وبهما (الصبر والشكر) يُحفَظُ الإنسان من لوثة الفتنة في حالي الفقر والغِنَىٰ؛ لأن الفقر قد يُنسيه ويشغله عن ربه تعالىٰ، والغِنَىٰ قد يُطغيه.

• والغِنَىٰ والفقرُ لا يُوصَفان بالذم والمدح في ذاتهما، وإنما في الحالة التي تعلَّقت بهما؛ فإذا وصل الفقر لدرجة أنست صاحبها مقام العبودية والرضى لله تعالىٰ وانشغل به عن طاعة ربه ورافقه السَّخَط والضَّجَر فهذا الحدُّ المذموم، وكذلك الغِنَىٰ إذا كان سببًا في طغيان صاحبه وكفرانه لنعمة خالقه ورازقه عندها يكون فتنة لصاحبه، وسببًا في بواره.

أورد ابن حجر في الفتح: « قَالَ الْغَزَالِيُّ: فِتْنَةُ الْغِنَىٰ الْحِرْصُ عَلَىٰ جَمْعِ المَالِ وَحُبُّهُ حَتَّىٰ يكسبه من غير حلّه وبمنعه مِنْ وَاجِبَاتِ إِنْفَاقِهِ وَحُقُوقِهِ، وَفِتْنَةُ الْفَقْرِ يُرَادُ بِهِ الْفَقْرُ الْمُدْقِعُ الَّذِي لَا يَصْحَبُهُ خَيْرٌ وَلَا وَرَعٌ حَتَّىٰ يَتَوَرَّطَ صَاحِبُهُ بِسَبَبِهِ فِيمَا لَا يَلِيقُ بِأَهْلِ الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ، وَلَا يُبَالِي بِسَبَبِ فَاقَتِهِ عَلَىٰ أَيِّ حَرَامٍ وَثَبَ وَلَا فِي أَيِّ حَالَةٍ تَوَرَّط »(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الدعوات، ح (٦٣٧٦).
(٢) فتح الباري (١١/ ١٨١).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ** }(١).

• والحديث يُشِيرُ إلى علامة من علامات الساعة، وهي عدم مبالاة الناس في جانب الأموال، والحرص على تحصيله دون النظر إلى حِلٍّ أو تحريم، ولعل هذه النفسية هي التي ساعدت وعزَّزت وجود البنوك الربوية بذلك الشكل الواسع حتى أصبحت التجارة الربوية هي الأكثر رواجًا، أضف إلى ذلك انتشار أشكال عِدَّة من الكسب الحرام، منها: الغِشُّ في البيوع والصناعة، وحتى الامتحانات التي سوف تكون شهادتها مصدرًا للكسب، والحلف الكاذب، والرشوة، والبخس، والمتاجرة بالمحرَّمات.

• وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ** }(٢).

• الحديث يُشِيرُ إلى فساد حال الناس وذِمَمِهم، وتمكُّن الفتن منهم، وتَغلغُل الحرام في أموالهم، ومن الملاحظ أن زمام اقتصاد الشعوب الإسلامية وتجارتها قد ارتبط بالبنوك الربوية، والقروض العالمية، حتى الوظائف لا ينالها أو يرتقي فيها إلا كل مُوالٍ أو مُهادن أو مُتملِّق، وغالبًا ما يكون هذا الثمن على حساب دين المسلم.

[ولقد قرأت رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعنوان: «هل أكل الحلال

---

(١) أخرجه البخاري: ك: البيوع، ب: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾، ح (٢٠٨٣).
(٢) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: من الدين الفرار من الفتن، ح (١٩).

متعذِّر في هذا الزمان» فماذا لو نظر إلى زماننا الآن؟!].

◘ المطلب الرابع: فتن المحبوبات:

قال الله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة].

• هذه الآية واضحة في بيان أصول المحبوبات الثمانية، وفيها بيان أن تقديمها على محبة الله ورسوله وطاعتهما يَتَرَتَّبُ عليه ثلاث عقوبات: الحرمان من الهداية، والتربُّص المتضمِّن للوعيد، والوصف بالفسق.

• وفي حديث سابق ذكرنا فيه قول حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ»، وفيه دلالة على أن الرجل يُفتَن في أهله وولده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[الأنفال: ٢٨].

• وَقَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ: « الْفِتْنَةُ بِالْأَهْلِ تَقَعُ بِالْمَيْلِ إِلَيْهِنَّ أَوْ عَلَيْهِنَّ فِي الْقِسْمَةِ وَالْإِيثَارِ حَتَّى فِي أَوْلَادِهِنَّ، وَمِنْ جِهَةِ التَّفْرِيطِ فِي الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ لَهُنَّ، وَبِالْمَالِ يَقَعُ الِاشْتِغَالُ بِهِ عَنِ الْعِبَادَةِ، أَوْ بِحَبْسِهِ عَنْ إِخْرَاجِ حَقِّ اللَّهِ، وَالْفِتْنَةُ بِالْأَوْلَادِ تَقَعُ بِالْمَيْلِ الطَّبِيعِيِّ إِلَى الْوَلَدِ وَإِيثَارِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وَالْفِتْنَةُ بِالْجَارِ تَقَعُ بِالْحَسَدِ وَالْمُفَاخَرَةِ والمزاحمة فِي الْحُقُوق »(١).

---

(١) فتح الباري (٦/ ٧٠٠).

وهذا جانب من أسباب الفتنة بالأهل والولد والمال.

◘ المطلب الخامس: فتن السلاطين:

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ** }(١).

• يُشِيرُ الحديث إلى خطورة فتنة الأمراء والعلماء، وأنها الفتنة الحقيقية، أو أكثر ما يُفتَتن بها في الأمَّة، بل أشدُّ من فتنة الدَّجَّال.

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: « كُنْتُ مُخَاصِرَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: { **غَيْرُ الدَّجَّال أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّال** }، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَّال؟ قَالَ: { **الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ** }(٢).

وذلك لأن فتنة الدَّجَّال أكثر وضوحًا، وهي فتنة قصيرة تمرُّ بالأمَّة عبر مرحلة من مراحلها؛ أما فتنة الأئمة المضلِّين فهي أكثر خَفاءًا على أهل العلم، بحيث يقع عدد منهم في شِباكها، ويَتَرَتَّبُ على ذلك وقوع العامة أيضًا، وهي ملازمة للأمَّة في أكثر مراحلها.

◘ طرق أبواب الملوك من أسباب الفتن:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: { **مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ**

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٢٣٩٣)، والترمذي، أبواب الفتن، ح (٢٢٢٩) وقال عنه حسن صحيح.
(٢) أخرجه أحمد، ح (٢١٢٩٧) عن أبي ذر الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُتِنَ }[١]، وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **{ وَمَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ }** زَادَ: **{ وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا }**[٢].

• فالتزلُّف للسَّلاطين والتقرُّب منهم، أو طَرْقُ أبوابهم سببُ فتنة، لأنه إذا وافق السلطان فيما يأتيه وداهنه خاطَر بدينه، وإن خالفه خاطرَ بدنياه، وفي الأثر: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ فَنَادَى ابْنَ مَسْعُودٍ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَتَى أُضَلُّ، وَأَنَا أَعْلَمُ؟ قَالَ: «إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ إِذَا أَطَعْتَهُمْ أَدْخَلُوكَ النَّارَ، وَإِذَا عَصَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ »[٣].

فإتيان السلاطين من غير ضرورة أو حاجة؛ وإنما طمعًا في الدنيا وحطامها سبب من أسباب الفتنة.

ولا يدخل في هذا الباب من يدخل عليهم لدعوتهم إلى الله تعالى، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول كلمة الحق.

• فالسلامة في عدم غِشيان الملوك، وعدم التزلُّف لهم، أو الدنوِّ من مجالسهم، حيث لن ينال أحدٌ من السلطان شيئًا من دنياه حتى ينالَ السلطانُ من دينه، وكانت أُعطيات الملوك في أزمنة خير القرون نزيهة، ويُراد بها الصالح العام، أما بعد ذلك فقد تغيَّرت وأوشكت أن تكون أثمان دينكم.

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الصيد، ب: في اتباع الصيد، ح (٢٨٥٩)، والترمذي: أبواب الفتن، ح (٢٢٥٦) وقال: حديث حسن غريب، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الصيد، ح (٢٨٦٠).

(٣) أخرجه الحاكم: ك: الفتن، ح (٨٤٢٤)، وقال موقوف صحيح.

• عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا وَلَا شُرْطِيًا ولا جابِيًا ولا خازِنًا }**(١).

• في هذا الحديث تحذير لأفراد الأمَّة من إعانة الظالم على ظلمه بأي شكل من الأشكال، وفيه إشارة لما يُعرَف به الأمراء الظلمة من غيرهم، وهي أن يقرِّبوا الشِّرار، ليكونوا بطانة لهم.

◘ موقف المسلم من هذه القضية:

١ـ عدم تصديق السلاطين بكذبهم، ومماراتهم في باطلهم.

٢ـ عدم إعانتهم على ظلم الآخرين أيًّا كان شكل هذه الإعانة.

٣ـ عدم الرضا أو المتابعة للسلاطين على منكراتهم.

٤ـ الإنكار عليهم بكلمة الحقِّ وبالحكمة والحُجَّة.

٥ـ الصبر على ظلمهم وعدم الخروج عليهم ما أقاموا الدين، ولم يرضوا بالكفر البواح.

• يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ وَشُرُوطُهُ:

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرَعَ لِأُمَّتِهِ إِيجَابَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ لِيَحْصُلَ بِإِنْكَارِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا كَانَ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ يَسْتَلْزِمُ مَا هُوَ أَنْكَرُ

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب طاعة الأئمة، ح (٤٥٨٦)، وقال العدوي: صحيح (الصحيح المسند من أحاديث الفتن) (٢٠٠).

مِنْهُ وَأَبْغَض إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ إِنْكَارُهُ، وَإِنْ كَانَ اللهُ يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ أَهْلَهُ، وَهَذَا كَالْإِنْكَارِ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُ أَسَاسُ كُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ إِلَىٰ آخِرِ الدَّهْرِ.. وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا جَرَىٰ عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الْفِتَنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ رَآهَا مِنْ إِضَاعَةِ هَذَا الْأَصْلِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَىٰ مُنْكَرٍ؛ فَطَلَبَ إِزَالَتَهُ فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ؛ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَىٰ بِمَكَّةَ أَكْبَرَ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهَا، بَلْ لَمَّا فَتَحَ اللهُ مَكَّةَ وَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ عَزَمَ عَلَىٰ تَغْيِيرِ الْبَيْتِ وَرَدِّهِ عَلَىٰ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ - مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ - خَشْيَةُ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنْ عَدَمِ احْتِمَالِ قُرَيْشٍ لِذَلِكَ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ وَكَوْنِهِمْ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِهَذَا لَمْ يَأْذَنْ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْيَدِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كَمَا وُجِدَ سَوَاءٌ»(١).

والأمر يَؤُول إلىٰ مَن يملك التغيير بالقوة دون أن يَتَرَتَّبُ علىٰ إنكاره منكرٌ أشدُّ منه، وهذه هي عين الموازنة الحكيمة إذا توفَّرت النوايا الحسنة، والهمَّة التي لا تبتغي إلا وجه الله، وإلا فوجه الحكمة ما اختاره النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الطريقة دون غيرها، وما يعقلها إلا العالمون.

وانظر كيف كانت بداية الفتنة بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكيف أن بدايتها كان إنكارًا علىٰ أمور وهمية كما حصل مع عثمان، فانتهىٰ الأمر بالأمَّة لأن تقع فريسة في يد الحجَّاج وزياد بن أبيه ومسلم بن عقبة.

(١) إعلام الموقِّعين، لابن القيم (٣/ ١٥).

رابعًا: فتن الشُّبُهات:

وهي الأخطر على قلب المسلم، عندما تثار الشكوك فتجعل المسلم في حيرة من أمره يضاف إليها اختلاط الحقِّ بالباطل.

قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور]، فالواقع في فتن الشُّبُهات، يشبه الغريق في بحر لجيٍّ متلاطم الأمواج متراكم الظلمات، ومن أراد النجاة فليس له إلا الاستنارة بنور الله سبحانه وتعالى من كتابه وسنة نبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

• يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: « **فصل: النوع الثاني**: أصحابٌ مثلُ الظلمات المتراكمة، وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال؛ فتراكمت عليهم ظلمة الطبع، وظلمة النفوس وظلمة الجهل؛ حيث لم يعملوا بعلمهم، فصاروا جاهلين، وظلمة اتباع الغي والهوى فحالهم كحال من كان في بحر لجيٍّ، لا ساحل له، وقد غشيه موج، ومن فوق ذلك الموج موج، ومن فوقه سحاب مظلم»(١).

◘ فتن كقطع الليل المظلم:

لأنها تُعمي بصيرة المؤمن، وتجعله في حيرة من أمره، وعدم استبانة طريق الآخرة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، يَبِيعُ قَوْمٌ**

---

(١) التفسير القيم، لابن القيم، ص (٣٨٧).

دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، الْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ - أَوْ قَالَ: عَلَى الشَّوْكِ }(١).

• في الحديث بيان قرب الفتن، وأن أكثر مَن يذوق ويلاتها هم العرب، ولا يحفظ الخائض فيها إيمانه مقدار نصف يوم.

فمثلًا: يرىٰ في الصباح عصمة دم أخيه المسلم، ثم تقع له شبهة تجعله يستبيح دمه أو ماله أو عرضه في المساء، وقتال المسلم واستباحة دمه كفر، وهو من باب الكفر العملي إن كان يقاتله دون اعتقاد منه باستباحة دمه، وإلا دخل في باب الكفر الاعتقادي إن كان يرىٰ حِلَّ سفك دمه.

• وفي الحديث إشارة إلىٰ تمكُّن الدنيا والشَّهَوات من قلوب أهل ذلك الزمان، لذا يباع الدين والإيمان بأبخس الأثمان، وتكون الدنيا وشهواتها هي معيار القبول عندهم؛ لذا يشتد علىٰ المؤمن الحفاظ علىٰ ثوابت الدين، فيشبه بالقابض علىٰ الجمر أو الشَّوْك، وكلاهما مُرٌّ.

«وقالَ الْحَسَنُ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ صُوَرًا وَلَا عُقُولَ، أَجْسَامًا وَلَا أَحْلَامَ، فَرَاشَ نَارٍ وَذِبَّانَ طَمَعٍ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ »(٢).

وعند الفتن يكون القاعد فيها خيرًا من الماشي، والساكت الملازم بيته خيرًا من المتكلِّم فيها، خاصَّة في الفتن التي يُراقُ فيها دماء المسلمين.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، ح (١١٨)، وأحمد في مسند المكثرين، ح (٩٠٧٣) واللفظ له.
(٢) أخرجه أحمد، ح (١٨٤٠٤).

[**ومن أحراز الفتن حين وقوعها**: لزوم البيت، وتعلُّم العلم الصحيح من الكتاب والسنة، وحفظ آيات من سور القرآن كعشر آيات من سورة الكهف تحفظ من فتنة الدَّجَّال، وملازمة أهل الصلاح، وخاصَّة من هو على شاكلتك].

◘ فتن الشيطان:

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يَقُولُ: { **إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ** }(١).

• يهدف الشيطان - نعوذ بالله منه - بعد ولوغ الإنسان في الشَّهَوات إيقاعه في الشُّبُهات من: إثارة الشكوك في قلب المسلم نحو الرسالة والمرسل والرسول ووعد الآخرة، ثم الله عَزَّوَجَلَّ.

• وهذا الحديث فيه تنبيه إلى طبيعة قدرة الشيطان في البيئة الإسلامية التي تشرَّبت تعاليم التوحيد، وخاصة جزيرة العرب، فغاية قدرته هو من خلال إثارة العداوة والبغضاء والتفرقة بين المسلمين.

• وفي الحديث إشارة إلى أهمية الصلاة في لجم الشيطان، والحذر من إثارة الشُّبُهات التي يقذف بها جنوده ليوهن علاقة المسلم بأخيه المسلم.

• عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، ح (٢٨١٢).

حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ }(١).

• في الحديث إشارة إلى أن بعوث إبليس أشبه بسرايا الحرب التي ترسَل لتحقيق مهمة مخصوصة، ثم العودة إلى مركز القيادة.

• وأعظم الفتن في نظر إبليس هو هدم الأسرة المسلمة؛ لذا لا نعجب من اهتمام الغرب بحقوق المرأة وحريتها في بلادنا بغرض إفسادها وإفساد أسرتها.

• وعلى المسلم أن يكون حَذِرًا من هذا العدو المبين وأسلحته وخيله ورجاله، وأن لا يسترسل لشُبُهاته، ولا يستسلم لشَهَواته، حتى ولو كانت على شكل خواطر، أو بفعل شياطين من الإنس.

• وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **{ إِنَّ المَلاَئِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ }**(٢).

وهذا جانب من الفتن التي يتآزر فيها شيطان الإنس والجن من خلال خلط الحقِّ بالباطل، والصدق بالكذب.

خامسًا: تتابعُ الفتن وكثرتُها:

عَنْ حُذَيْفَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ،**

(١) أخرجه مسلم ك: صفة القيامة والجنة والنار، ب: تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، ح (٢٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، ب: ذكر الملائكة، ح (٣٢١٠).

وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ}[(١)].

مُجَخِّيًا: مائلًا منكوسًا، **مُرْبَادًّا**: شيء من بياض بسيط يخالط السَّواد، أو هو أسود كدورة، **الصَّفَا**: الحجر الأملس الذي لا يعلق فيه شيءٌ.

• هذا الحديث فيه إشارة إلى كثرة الفتن التي تعصف بقلوب المسلمين، [ولأن القلب هو محل التوحيد والإيمان والتقوى والنية ونظر الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكذلك محل المحبة والشوق والرجاء واليقين والتوكل والإنابة والخشية والخوف والرجاء]. وهي فتنة متتابعة كل واحدة تسلِّم للأخرى، كما تُعرَض العيدان على نساج الحصير.

• والقلوب تستقبل الفتن على وصفين، **الأول**: قلب يخوض في الفتن ويقع فيها، كلما وقع في فتنة زال عنه من نور الإسلام والإيمان من قلبه مثلها، وذلك بسبب أن صاحب هذا القلب يتابع هواه في الفتن سواء كانت فتن أموال أو نساء، أو شبهات أو شهوات أو دماء، فيتأثر بها حتى يصبح قلبه أسودًا منكوسًا خاليًا من الإيمان مائلًا لا يقبل الحق.

والثاني: قلب تَنَكَّرَ للفتن، على علم ونور ويقين وثبات، استبان له الحقُّ من الباطل فأصبح محصَّنًا من الفتن، كله بياض ونور من نور الوحي، هذا القلب بعد ذلك ثابتٌ لا يتأثَّر بالفتن، ولا يعلَق فيه شيءٌ من غُبارها.

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبًا، ح (١٤٤).

• عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: **{ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ }**(١).

• هذا الحديث يُشِيرُ إلى تتابُع الفتن المهلِكة، ولعل المقصود هنا هي فِتَنُ الدماء، وهذه الفتن أول ما تَعصِف بأصول الإيمان في قلوب الناس، وتحوِّلُهم إلى الشرك، أو تُضعِف في قلوبهم التوجُّه نحو الآخرة، وتعزِّز فيها طلب الدنيا، حيث ذكر الحديث أهمَّ مَعْلَمَيْنِ من معالم الإيمان، وهما الإيمان بالله واليوم الآخر.

• عن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً فَإِذَا غُيِّرَتْ، قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ؟»، قِيلَ: مَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: «إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أَمْوَالُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ »(٢).

• يرشد الحديث إلى زمان تغيُّر معالم الرسالة في قلوب الناس، وهم يحسبون

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإمارة، ب: الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، ح (١٨٤٤).

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة (١٨٥)، والحاكم في الفتن والملاحم، ح (٨٥٧٠) وقال عنه الذهبي: صحيح على شرط الشيخين.

أنهم على الحق، وحقيقتهم أنهم أبعد ما يكونون عنه، حيث يألفون لطول أمدهم ما هم فيه من ضلالات، ويظنون لغفلتهم وجهلهم أنهم على الحق، وذلك عند توفُّر أسباب الفتنة: من كثرة الجُهَّال، وقلَّةِ العلماء والفقهاء، إضافةً إلى كثرة الأمراء؛ مما يُشِيرُ إلى تفرُّق الأمَّة، وهؤلاء مع كثرتهم ليس فيهم مؤتمن على الأمَّة.

• والملاحظ أن البدع والضلالات تأخذ شكلًا شرعيًّا بين الناس، بحيث إذا تُرِكَ منها شيءٌ أنكروا بزعمهم أنه تُرِكَتِ السُّنَّةُ، وهذا من شدَّة إلباس الحقِّ بالباطل، وهو عُين ما وقعت فيه بنو إسرائيل.

• عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ** }. قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: { **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟** } قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: { **يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** } (١).

• في هذا الحديث دلالة على أن أكثر الفرق المتناحرة في الفتن هم من دعاة النار؛ لذا كان الأسلم فيها الاعتزال باللسان واليد، وأن ينشغل الإنسان برعاية

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: نزول الفتن كمواقع القطر، ح (٢٨٨٧).

أمواله سواء كانت زراعة أم رعيًا، أو نحوه.

• وكلما كان الإنسان بعيدًا عن أتون الفتنة كلما كان أكثر نجاة، وفي الحديث إشارة إلى ضرورة عدم الاشتراك في هذا الاقتتال مهما كانت النتيجة، وفي حالة الإكراه يكون سلبيًّا مدافِعًا وليس مهاجِمًا حتى تتمَّ له النجاة.

• وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليمانِ قالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **{ نَعَمْ }** قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: **{ نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ }**. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: **{ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ }** قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: **{ نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا }** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: **{ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا }** قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: **{ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ }**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ **{ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ }**(١).

• هذا الحديث من أهم الأحاديث الدالة على تقلُّب الشرِّ والخير في حقِّ الأمَّة، وقد يُراد بالشرِّ الأول ما وقع من مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أما الخير الذي فيه دَخَنٌ إشارة إلى اجتماع الناس بعد فتنة، ولا يكون على صورته قبل الفتنة، بل اجتماع مع

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، علامات النبوة في الإسلام، ح (٧٠٨٤)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، ح (١٨٤٧).

اختلاف في القلوب، ثم تفرُّق الأمَّة إلىٰ شِيَعٍ وأحزاب **{دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ}**؛ مما يدل علىٰ أنها من فرق الضلال، والعاصم لزوم جماعة المسملين، وطاعة إمامهم الخليفة القائم علىٰ رعاية دين الله سبحانه وتعالىٰ، وحفظ معالمه بين الرعيَّة، وإن كان فيه ظلم فهذا لا يقدح في ضرورة الصبر عليه وطاعته في طاعة الله تعالىٰ، وإن لم يكن لهم إمام بهذه الصورة **{ إن كان لله خليفة في الأرض..}** (١)، فاعتزل تلك الفرق كلها، وهو صورة من صور الإنكار علىٰ فرق الضلال، أو موافقتها في دعواها إلىٰ النار.

سادسًا: الفتن العظام:

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: « وَالله إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ - وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ -: **{ مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ**

---

(١) من حديث أخرجه أبو داود في الفتن، ح (٤٢٢٥)، وقد ورد فيه: { إِنْ كَانَ للهَّ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ فَضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَأَطِعْهُ، وَإِلَّا فَمُتْ، وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَة }، وحَسَّنه الألباني.

وللإمام ابن حزم تعليق هام على هذا الحديث، يقول: « أما أمره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالصبر على أخذ المَال وَضرب الظّهْر فَإِنَّمَا ذَلِك بِلَا شكّ إِذا تولى الإِمَام ذَلِك بِحَق، وَهَذَا مَا لَا شكّ فِيهِ أَنه فرض علينا الصَّبْر لَهُ، وَإِن امْتنع من ذَلِك؛ بل من ضرب رقبته إِن وَجب عَلَيْهِ فَهُوَ فَاسق عَاص لله تَعَالَى. وَأما إِن كَانَ ذَلِك بباطل فمعاذ الله أَن يَأْمر رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالصبر على ذَلِك... فيقين لَا شكّ فِيهِ يدْرِي كل مُسلم أَن أَخذ مَال مُسلم أَو ذمِّي بِغَيْر حق وَضرب ظَهره بِغَيْر حق إِثْم وعدوان وَحرَام قَالَ رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِن دماءكم وَأَمْوَالكُمْ وَأَعْرَاضكُمْ حرَام عَلَيْكُم فَإِذْ لَا شكّ فِي هَذَا وَلَا اخْتِلَاف من أحد من الْمُسلمين فالمسلم مَاله للأخذ ظلما وظهره للضرب ظلما وَهُوَ يقدر على الِامْتِنَاع من ذَلِك بِأَيّ وَجه أمكنه معاون لظالمه على الْإِثْم والعدوان » انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٣٣).

يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ }»(١).

وورد في الأثر عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: « فِي الْإِسْلَامِ أَرْبَعُ فِتَنٍ، تُسْلِمُهُمُ الرَّابِعَةُ إِلَى الدَّجَّالِ: الرَّقْطَاءُ، وَالْمُظْلِمَةُ، وَهَنَةٌ وَهَنَةٌ »(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام:٦٥]. قَالَ: { أَرْبَعُ فِتَنٍ تَأْتِي الْفِتْنَةُ الْأُولَى فَيُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالثَّانِيَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالثَّالِثَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالْفُرُوجُ، وَالرَّابِعَةُ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، تَمُورُ مَوْرَ الْبَحْرِ، تَنْتَشِرُ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ }(٣).

والرابعة تُشير إلى فتنة الدَّجَّال عندما ينحسِر الفُرات عن جبل من ذهب، فيُقتَل عليه من كل تِسعَةٍ سبعةٌ.

• وعن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ الله، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: { هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا،

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: إخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يكون إلى قيام الساعة، ح (٢٨٩١).
(٢) كتاب الفتن، لنعيم بن حماد، برقم (٨٠)، و(١٠٥).
(٣) المصدر السابق، برقم (٩٠)، وانظر: رقم (٦٧٦).

حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّال، مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ مِنْ غَدِهِ }(١).

• الفتنة الأولى: الأحلاس:

جمع حِلس، وهو الكِساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، شبه الفتنة بالحِلس لدوامها وطول لبثها وملازمتها للناس.

ولعل المراد بها فتنة تشيُّع الأمَّة إلىٰ فِرَقٍ، وإذاقة بعضهم بأسَ بعض، (**هَرَبٌ وَحَرْبٌ**)، وسبيل النجاة من هذه الفتنة المتعلقة بالدماء هو ملازمة البيت، وعدم مشاركة القوم.

• الفتنة الثانية: فتنة السَّراء:

والمراد بها النَّعماء التي تَسُرُّ الناس من الصحة والرخاء، ومن معاني السَّراء أيضًا البَطحاء؛ أي فتنة الصحراء، ولعلها - والله أعلم - ظهور البترول في بلاد العرب، وما أدَّىٰ إليه من التَّرَف والنعيم والركون إلىٰ الدنيا والتنافس فيها، والتعالي بسببها؛ مما جعل المُلك جبريًّا ذا توجُّهات منافية لطبيعة رسالة الأمَّة.

ويلاحَظ أن هذه الفتنة قد ارتبطت بشخص من أهل بيت النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي هو سبب إشعالها في الأمَّة، ونفي النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {**وَلَيْسَ مِنِّي**} من باب قول الله سبحانه لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في شأن ابنه: ﴿**إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ**﴾ [هود:٤٦]؛ لذا عقَّب بقولِه: { **وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ** }.

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الفتن والملاحم، ب: ذكر الفتن ودلائلها، ح (٤٢٤٢)، وأحمد، ح (٦١٦٨)، والحاكم في الفتن، ح (٨٤٤١) وقال: صحيح الإسناد، وأقرَّه الذهبي.

• وقد يكون إشارة إلىٰ بداية عهد الحكومات الجَبْرِيَّةِ التي تكون بعد المُلك العَضود، والذي انتهىٰ بسقوط الخلافة العثمانية.

• الفتنة الثالثة: فتنة الدُّهَيماء:

أي المظلمة، وهي الأخطر في الفتن الثلاث، وهي المُمَهِّدة لخروج الدَّجَّال، ومواصفات هذه الفتنة أنها: **فتنة عامة**: أي تَعُمُّ المسلمين جميعًا، وأنها مُتجدِّدة طويلة الأمد، وأنها ترتكِز علىٰ الشَّهَوات والشُّبُهات، وهي فتنة واسعة التأثير علىٰ القلوب، بل مؤثِّرة في نظرة الناس للحقائق؛ مما يُعزِّز أن للإعلام دورًا واسعًا فيها، وهي كذلك فتنة الحصاد والغَرْبَلة والتمييز حتىٰ يكون الناس إما قلَّة من أهل الإيمان زادتهم الفتنة ثباتًا وإصلاحًا لله عَزَّوَجَلَّ، يتميَّزون بمعتقدهم وصفاتهم وسلوكهم وتوجُّهاتهم، أو كثرة من المنافقين، نفاقٌ محض لا إيمان فيه؛ وهذا مما يجعل الكثيرين يختارون طريق النفاق المَحض؛ لأنه يحقِّق مآربهم الدنيوية التي كانوا يرتعون فيها قبل الفتنة، كما أنها الفتنة الأقرب لفتنة الجدال في المواصفات والتوقيت، والدَّجَّال يمتلك قدرات خارقة، يدَّعي الربوبية، وينصِب نفسه لملاحقة أهل الله ومطاردتهم، وبثِّ الشُّبُهات حولهم، والتضييق علىٰ من يساندهم، لذا فالقرية التي لا تتبعه تحاصَر اقتصاديًّا، والقرية التي تؤمن به وتسانده يُغدِق عليها من عطاياه، فالدَّجَّال ليس له إلا شعار واحد: **إما معي وإما عليَّ**.

• ومن علامات هذه الفتنة أن يكون هناك تقصير من المسلمين في نصرة الحقِّ وأهله، بل خذلانه، وشعار أكثر الناس: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا علىٰ شاشات التلفاز مشاهدون)، وهذا وجه من الفتنة أو لطماتها، ﴿ **فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ** ﴾، لكن الواقع يقول: [فلولا إذ جاءهم بأسنا تفرَّجوا].

• وفي الأثر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{تَأْتِيكُمْ بَعْدِي أَرْبَعُ فِتَنٍ، الْأُولَى يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالثَّانِيَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالثَّالِثَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالْفُرُوجُ، وَالرَّابِعَةُ صَمَّاءُ عَمْيَاءُ مُطْبِقَةٌ، تَمُورُ مَوْرَ الْمَوْجِ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى لَا يَجِدَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مِنْهَا مَلْجَأً، تُطِيفُ بِالشَّامِ، وَتَغْشَى الْعِرَاقَ، وَتَخْبِطُ الْجَزِيرَةَ بِيَدِهَا وَرِجْلِهَا، وَتُعْرَكُ الْأُمَّةُ فِيهَا بِالْبَلَاءِ عَرْكَ الْأَدِيمِ، ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ فِيهَا: مَهْ مَهْ، ثُمَّ لَا يَعْرِفُونَهَا مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا انْفَتَقَتْ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى}**(١).

• هذا الأثر فيه إشارة إلى أن هذه الفتنة أول ما تطيف بالشام، ثم تغشى العراق، ويكون البلاء فيها أشدَّ، ثم الجزيرة تخبطها بيدها ورجلها (يعني أخف حِدَّة) إنما هي خبطة أو خبطتان.

• والمتتبِّع لحرب الإرهاب المصطنعة في كل العالم اليوم يفهم دلالات هذه العبارة، حتى إنه لا يجد إنسانٌ منها ملجأً في الأرض.

• وهذا الوصف الدقيق لفتنة الدُّهَيْماءِ: أليس هو عين ما تعيشه الأمَّة اليوم بصورته الكاملة؟!

سابعًا: موقف المسلم من الفتن:

١- الاعتصام بالكتاب والسنة: وهو حِرز قَدَرِيٌّ من الفتن، قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾[آل عمران: ١٠٣].

---

(١) كتاب الفتن، لنعيم بن حماد، برقم (٨٩).

• عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في خُطْبَةِ الوَداعِ: {.. **وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ الله** }(١).

وفي حديثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قولُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ** }(٢).

• فالاعتصام بحبل الله تعالىٰ يتحقَّق بأمرين، ذكرهما ابن القيم في قوله:

«فَالِاعْتِصَامُ بِهِ نَوْعَانِ: اعْتِصَامُ تَوَكُّلٍ وَاسْتِعَانَةٍ وَتَفْوِيضٍ وَلَجْءٍ وَعِيَاذٍ، وَإِسْلَامِ النَّفْسِ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِسْلَامِ لَهُ سُبْحَانَهُ.

وَالثَّانِي: اعْتِصَامٌ بِوَحْيِهِ، وَهُوَ تَحْكِيمُهُ دُونَ آرَاءِ الرِّجَالِ وَمَقَايِيسِهِمْ، وَمَعْقُولَاتِهِمْ، وَأَذْوَاقِهِمْ وَكُشُوفَاتِهِمْ وَمَوَاجِيدِهِمْ. فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ مُنْسَلٌّ مِنْ هَذَا الِاعْتِصَامِ، فَالدِّينُ كُلُّهُ فِي الِاعْتِصَامِ بِهِ وَبِحَبْلِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَإِخْلَاصًا وَاسْتِعَانَةً، وَمُتَابَعَةً، وَاسْتِمْرَارًا عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »(٣).

• واجتماع كلمة المسلمين هي في أعلىٰ أولويات الأمَّة؛ لذا قَرَنَتِ الآية بين أمرين، الأول: الأمر بالاعتصام الذي به تتحقَّق الألفة، والثاني: النهي عن التفرَّق.

• [وحفظ عشر آيات من سورة الكهف حِرْزٌ من الدَّجَّال، وقراءتها يوم الجمعة مستحبَّة كل أسبوع؛ وذلك لارتباط هذه الصورة بفتن الدَّجَّال من فتنة

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الحج، ب: حجة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ح (١٢١٨).
(٢) أخرجه الترمذي: أبواب العلم، ب: ما جاء في الأخذ بالسنة، ح (٢٦٧٦)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود: ك: شرح السنة، ب: في لزوم السنة، ح (٤٦٠٧).
(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٣٠٣).

الدِّين، والمال، والعلم، والسلطان، واحتوت السورة على أربع قصص: فتنة أهل الكتاب، وصاحب الجنتين، وموسى والخضر، وذي القرنين، وفي كل قصة يبيِّن المولى سبحانه وتعالى المخرج والعلاج].

٢ـ العدل: قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا** ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي عُدولًا، وقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ** ﴾[النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ** ﴾[المائدة: ٨].

• أمة العدل: بلا إفراط ولا تفريط، فلا غُلُوَّ كما غَلَتِ النصارى، ولا تفريطَ كما فرَّط اليهود، ولا رهبانية ولا مادية .

والغُلُوُّ: هو ما وقعت فيه الخوارج والشيعة وسائر الفرق، **والتفريط**: هو ما وقعت فيه الصوفية والطرق.

• ومن العدل أن يكون الولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا، لا للفكر الحزبي أو الجماعة أو القبيلة.

• ومن العدل: التثبُّت والرَّوِيَّة وعدم التسرُّع في إصدار الأحكام، وخاصة عند وقوع الفتنة، وكثرة الشائعات المهيِّجة لها.

• ومن العدل: أن نلتزم بالأحسن من القول، كما قال تعالى: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣** ﴾[الإسراء].

فالكلام ينقسم إلى أربعة أقسام: إما فاحش أو أفحش، أو حسن أو أحسن، والله

سبحانه قد ندبنا إلىٰ القسم الرابع وهو الأحسن، وتذييل الأمر بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ﴾ يكاد يكون تعليلًا لما سبق؛ مما يُشِيرُ إلىٰ أن كلامنا إذا نزل عن هذا المستوىٰ الرفيع (الكلام الأحسن) فذلك يُعطي الشيطان فرصة للنزغ أو التحريش بيننا، وانظر إلىٰ حال أكثر الخلق إذ يبقىٰ كلامهم بين القبيح والأقبح، والفاحش والأفحش، والمباح، ونادرًا ما يرتقي لدرجة الحسن، مع أن الكلام الحسن يمكن للشيطان أن ينزغ بين أهله ما لم يرتقوا إلىٰ الكلام الأحسن.

• وهذه الآية تبرز لنا خطورة اللسان، وضرورة الارتقاء إلىٰ الكلام الأحسن، وهو الكلام الذي يؤلِّف ويجمع القلوب علىٰ توحيد الله، ويوجِّهُها من التطلُّع إلىٰ حطام الدنيا إلىٰ التنافس علىٰ عظيم الجزاء في الآخرة، وما أصعبَه من مقام!

٣ـ الصبر واليقين: قال الله سبحانه: ﴿**وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤**﴾[السجدة].

بالصبر واليقين يقينا الله تعالىٰ بريق الشَّهَوات، وظلمة الشُّبُهات، وبالصبر ندفع الشَّهَوات، وباليقين نصدُّ الشُّبُهات، فبهما الخلاص والنجاة بإذن الله من حمأة الفتن ولهيبها، وهما مناط العزة والولاية والنصر في الأرض.

فعلىٰ المسلم أن ينتبه لهذا العلاج، ويعزِّز معانيه وروافده في قلبه، ويستعين بالوسائل العلمية والروحيَّة المغذية والممكنة له في حياته.

وفتنة الشَّهَوات: كفتن النساء والأموال السلطان وقيدها الصبر.

وفتنة الشُّبُهات: كفتنة الدماء والفتن المبنية علىٰ تزيين الشيطان للمنكر والباطل، أو تقبيح صورة الحقِّ وتشويهه، وقيدها اليقين.

وتبلغ فتن الشَّهَوات والشُّبُهات ذورتها في عهد الدَّجَّال، فالقرىٰ التي لا تتبعه تحاصَر اقتصاديًا وتصبح قحطًا، والذين يؤمنون به يرتعون في حطام الدنيا، وهنا يأتي دور الصبر، وفي عهد الدَّجَّال يعتمد علىٰ الشُّبُهات والسحر بأعلىٰ الدرجات فبأمره ينزل المطر، ويقتل مسلمًا ثم يحييه ولا يقدر عليه ثانية، إلىٰ غير ذلك من الشُّبُهات التي يستدرج الناس بها، وهذه قيدها الثبات واليقين (كالرجل الذي قتله ثم أحياه فيقول له: ما ازددت فيه إلا بصيرة ويقينًا، فأنت الدَّجَّالُ عدوُّ الله، فلم يسلط عليه.

٤ـ الترخُّص في العزلة زمن الفتن، وتجنُّب الحرام، والإكثار من العبادة، ولزوم البيت:

وقد سبقت الأحاديث الدالة علىٰ ذلك من أن خير مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال، يفرُّ بدينه من الفتن، وأن العبادة في الهرْج كهجرة إلىٰ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والبيوت حِرز من الفتن، ولْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ علىٰ خطيئتك.

٥ـ كفُّ اليد في الفتنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ** }(١).

عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي** } قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٩٦٩١)، وأبو داود: ك: الفتن والملاحم، ب: ذكر الفتن ودلائلها، ح (٤٢٤٩)، قال العدوي: صحيح الإسناد [المسند الصحيح (٢٧٢)].

دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: { كُنْ كَابْنِ آدَمَ }[١].

• فقد علَّق الحديث الأول الفلاح على كفِّ اليد في الفتنة، وبيَّن الحديث الثاني أن لو يلقَى ربَّه مقتولًا خير من أن يلقاه قاتلًا، إلا دفع الصائل؛ فإن الشريعة أجازت حال الصِّيال عليه أو على ماله أو علَى عرضه بأن يدفع عن نفسه حتى لو أدى ذلك إلى قتل الصائل، وهذا الحكم لا ينطبق على الصِّيال على النفس في الفتنة، حيث دلَّت كثير من النصوص الشرعية أن الأفضل للمسلم أن يكفَّ يده عن أخيه المسلم ويكون كخَيِّرَي ابن آدم، وليلقَ الله مقتولًا لا قاتلًا.



(١) أخرجه أحمد، ح (١٦٠٩)، والترمذي في الفتن، ح (٢١٩٤) وقال عنه: حديث حسن، وقال العدوي: إسناده صحيح (المسند الصحيح ٢٧٣).

الفصل الثاني

المُبشرات

أولا: علامات السَّاعَةِ تعزز البشارة، وتدفع اليأس:

• كثير من النصوص تُشِيرُ إلىٰ انتكاسة تصيب المسلمين في دينهم بما يفضي إلىٰ ضياع دنياهم، وهي تحكي واقعًا نعيشه الآن بصورته المأساوية مما قد يفضي إلىٰ اليأس، أو الشعور بالعجز.

• لكن هذا فهم سقيم لطبيعة العلامات والغرض من إيرادها؛ بل علىٰ العكس فإن معرفتنا لهذه العلامات التي تصور واقعنا بصورة كاملة يتضمن البشارة لنا من بعض الوجوه، منها:

• **الوجه الأول**: أن هذا الواقع الأليم يُعزِّز فينا الشعور بالانتماء للدين، والتميز بالوحي والشعور بأنه لم ينقطع، وهي مرحلة سبق أن بيَّنها الوحي ليبرز لنا مُجريات الصراع بين الحقِّ والباطل في آخر الزمان، وهذه الصورة لعلامات السَّاعَةِ والتي تتضمن تحذيرات وتوجيهات للمسلم في تلك المرحلة هي عين البُشْرَىٰ، وتُعَزِّز عند المسلم الرؤية السليمة للواقع بانحرافاته وطرق السلامة منه.

• **الوجه الثاني**: ذكر العلامات مقرونة بتوجيهات نبوية للنجاة؛ حيث تذكر الداء مقرونًا بالدواء الشافي والعلاج الوافي هو عين البُشرىٰ للأمَّة؛ لأن وضع شفاء لشيء هو نوع بِشارة بالشفاء منه.

• **الوجه الثالث**: هذا الوصف الدقيق للواقع يُخرج المسلم من حيرته، حيث يكون عنده تصور مفصَّل من الوحي لكل جزئية تُعرَض عليه، وبذلك لا تختلط

عنده الأوراق ولا التصورات كما حصل مع الأمم السابقة.

• **الوجه الرابع**: علامات السَّاعَةِ تضمنت كثيرًا من المبشِّرات الدالة على أن هذا الواقع سيتغير، بحيث تكون العاقبة للمتقين، مما يبثُّ الأمل في نفس المؤمن ويعزِّز عنده الصبر، ويُحرِّك فيه كوامن الاستعداد للتغيير من هذا الواقع الأليم.

• **الوجه الخامس**: علامات السَّاعَةِ تُشِيرُ إلى الامتداد الطبيعي لمجريات صراع الحقِّ والباطل وسُنَنِه منذ بداية البشرية، وهذا يتفق وطبيعة الحياة الدنيا؛ حيث إنها دار للمحن والابتلاءات، وأنها مزرعة للآخرة، وتغيُّر حال الأمَّة بعد نبيها ليأخذ البلاء والاختبار صورًا جديدة، ولقد أشار النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ذلك المعنى بقوله: { **مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ** }(١).

• تتجدَّد صور الاختبار والابتلاء الذي يُميِّز المُحِقَّ من المُبطِل، وأهلَ الجنة من أهلِ النار، قال تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾** ﴾[البقرة].

• لكن ابتلاءات هذه الأمَّة مهما بلغت هي أهون مما وقع للأمم السابقة، فقد

(١) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ح (٥٠) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان من البلاء فيهم أنه يُنشَر الرجل المؤمن بالمنشار من مَفرِق رأسه إلى رجليه، أو يمشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه لا يُثنيه ذلك عن دينه، ومنهم من حُفِرت لهم الأخاديد وأُحرِقوا بالنار، وهذه الأشكال من التعذيب لم تقع في الأمَّة بصورتها؛ بل هو أخفُّ من ذلك.

• أمَّة الإسلام حفظ الله سبحانه وتعالى لها كتابها إلى يوم القيامة، وسخَّر لها من يحفظ لها هدي رسولها عبر القرون، وهذا لم يحدث مع الأمم السابقة، كما يسَّر لهذه الأمَّة طائفة ظاهرة على الحقِّ منصورة إلى يوم القيامة، ويسَّر لها مَن يجدِّد لها دينها عبر القرون، وخصَّ الله هذه الأمَّة بخصائص كثيرة من مغفرة الذنوب، والتجاوز عن الخطأ والنسيان ومضاعفة الحسنات، في حين كانت توبةُ مَن قبلَنا قتلَ أنفسهم، كما جعل الله سبحانه في مقوِّمات ديننا وعبادتنا ما يجدِّد الإيمان فينا بصورة دائمة.

• كما أن هذه الابتلاءات عنوان رحمة بالأمَّة، وليس عليها عذاب دائم في الآخرة، فهذه الفتن والبلايا إنما سِيقَت على هذه الأمَّة من باب الكفارة والتنقية ورفع بلاء الآخرة.

• كما أن في هذه الابتلاءات الترقية لأهل الإيمان والثبات بنيلهم أعلى الدرجات يوم القيامة، لذا تُضاعَف لهم الأجور، حيث يكون أجر الصابر في أيام الصبر بأجر خمسين من الصحابة.

ثانيًا: النبيُّ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولُ البشارة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ [فاطر]، وفي الحديث: { يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا }(١).

- كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يُبشِّر صحابته بالنصر والتمكين والسَّنا والرِّفعة في أحلك الظروف، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

- تبشيره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ للصحابة وهم يُعذَّبون بمكة بالنصر وحصول الأمن.
- تبشيره صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إياهم بالنصر على الدول العظمى آنذاك عند حفر الخندق.
- وعده صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لسراقة وهو يطارده في طريق الهجرة بسوارَي كسرى.
- تبشيره لعدي بن حاتم بحصول الأمن والرخاء عندما جاءه رجل يشتكي الفاقة وقطع الطريق.

- وللبُشرى النصيب الأكبر في علامات السَّاعَةِ، ومن أمثلة ذلك:

إعراض النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن ذكر مُجرَيات الصراع بين اليهود والمسلمين، واقتصاره على ذكر لحظة النصر والتمكين، وكلام الشجَر والحجَر.

- بشارته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عند ذكر الملاحم بفتح القسطنطينية، ورومية.
- بشارته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ للصابر وقت الشدائد بأجر خمسين من الصحابة.
- الإشارة إلى العزَّة والتمكين والرخاء لأهل الإسلام في آخر الزمان.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: العلم، ب: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا، ح (٦٩)، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

• بشارته صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للأمة ببقاء الطائفة المنصورة، وترادف المجدِّدين على الأمَّة حتى آخر الزمان.

• بشارته صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن هذه الأمَّة الأقل عملًا مقارنة بالأمم السابقة، والأكثر أجرًا عند الله، وأن الخيرية في هذه الأمَّة باقية إلى يوم القيامة، بخلاف أفضلية بني إسرائيل على أهل زمانهم فقط.

• بشارته صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن هذه الأمة شهداء الله في الأرض، وبأنهم الآخرون في الأمم، الأولون في دخول الجنة يوم القيامة.

• بشارته صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بدخول الإسلام كلَّ بيت، وإعطاء أهله الكَنزَيْن الأحمر والأبيض.

• وفي الحديث: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُم عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ }**(١).

• ثالثًا: بزوغ بريق الأمل من رحم المعاناة والألم:

إن حالة التردِّي والانتكاسة في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والدينية، هي التي صرَّحت بها العلاماتُ السابقة، وقد بدأت منذ رَدْحٍ من الزمان، يصفها العلَّامة محمد صديق القنوجي رَحِمَهُٱللَّهُ بقوله: «قد أحاطت هذا الزمانَ وأهلَه فتنٌ كثيرةٌ لا تُحصَى، خصوصًا ذهاب دولة الإسلام، وحكومة الإيمان، وغُربة الدِّين وفُشُوُّ البِدع

(١) أخرجه أحمد، ح (٢١٢٢٢)، والحاكم، ك: الرقاق، ح (٧٨٦٢) وقال: حديث صحيح الإسناد، وصحَّحه الذهبي.

والمضلِّين، وقلَّة العلم، وكثرة الجهل، وإيثار الخلق على الحقِّ، والعاجلة على الآجلة، وترك الغزو، والقنوع بما في أيدي الناس، والانهماك في أمر المعاش، والإعراض عن المعاد، وكثرة التحاسد، والمفاسد التي أسرت أفراح القلوب، وشقَّت قلوب المؤمنين قبل الجيوب، فأصبحوا في حال يَعدُّون المنايا أمانيَّ، ويَرون لضعف الدين ووهن اليقين الموت طبيبًا شافيًا، إذا عثرت خيول الفتن والنقم، وولَّت جنود الدَّعَة والنِّعم، وصارت الدنيا كلها آفات وبلايا، وكم في الزوايا من رَزايا»[١].

• ومع اكتمال أوصاف الفتن والعلامات، إلا أن عصرنا هذا أقرب للفرج والبشارة من أي وقت مضى، لأن هذا النفق المظلم الذي دخلت فيه الأمَّة بسبب تهاونها قد اقترب من نهايته، والأمَّة التي ذاقت مرارة البُعد عن تعاليمها قد تاقت للعودة إليها، كما يشهد لذلك الواقع.

• لقد خلَّفت الحِقبة الاستعمارية الماضية أجيالًا منبهرة بالغرب متنصِّلة من الدِّين، وحتى يُحكِموا القبضة على المسلمين فقد هيَّئوا التركيبة السياسية والاجتماعية في بلاد المسلمين لتبقى على ولائها لهم، ليتحقَّق التخلُّف والهَوان في الأمَّة، وتبقى بلاد المسلمين البقرةَ الحلوبَ للغرب، ويُؤمَن جانبُها من خلال تبعيتها الكاملة للغرب وحضارته.

• ومع هذا لن تستمر، فقد رافقتها - بقدر الله وفضله- صحوة حقيقية ظهرت معالمها، ولديها القدرة على التمييز بين الحقِّ والباطل، وبين الحقائق والأوهام، والأصيل والدخيل، وانتقلت الصحوة من مرحلة الدفاع عن الإسلام إلى مرحلة

---

(١) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، لمحمد صديق القنوجي، ص (١٩٢).

الثقة بتعاليم الإسلام، وضرورة نشرها في الأرض لينعم بها كل إنسان، ثم بدأت في كشف عَوار الحضارة الغربية وما جلبته للعالم من دمار على البشرية وانحدار بالإنسانية بأخصِّ خصائصها.

• وفوجئ الغرب بتعاليم الإسلام تَغزو ديارَهم الخاوية من أي تعاليم تَحفظ للإنسان فطرته، وبدأت مواجهة جديدة شاملة للدين الإسلامي تهدِف إلى تشويه معالمه وملاحقة أهله.

• وعندما ترتقي الأمَّة للدرجة المطلوبة للنصر وفق سنَّة الله، وتتهيَّأ النفوس لحمل رسالة الإسلام بكل أعبائها، وتنكشف حقيقة الباطل بكل صوره، مع وجود تضحيات تلائم هذا النصر وهذه المواجهة، فهذا هو عين البشارة للأمة، وأن ما ينتظرها ليس نصرًا وهميًّا أو جزئيًّا، بل نصرًا مؤزَّرًا تَقَرُّ به عين كل مسلم في الأرض.

• ومن المبشِّرات إفلاس أهل الباطل من الناحية الروحيَّة، حيث أفلست اليهودية والنصرانية في إشباع الجانب الروحي لأبنائهم، وهذا الجانب الروحي جزء أصيل من الطبيعة الإنسانية، وإغفاله يمثِّل ضياعًا أكيدًا لأهم معلم من معالم البشرية، ويترتب عليه خواء وعطش شديد لا يسدُّ رمقه إلا رسالةُ الإسلام الحق.

• ثم تعدَّى الأمر من الإفلاس إلى الاستغلال، فتمَّ إغراق الغرب في وحْل الموبِقات والمنكرات والفاحشة والرذيلة والمخدرات والجريمة، وانتشرت البنوك الربوية ودور القمار ونوادي العراة، وأصبح شعارهم «لا تؤثمني» لأن المسيح قد حمل كل آثامكم، وهم بذلك هدموا كل تعاليم المسيح، وألبسوا ديانتهم ومجتمعاتهم تكنولوجيا الانحطاط التي تدمِّر الأمم والشعوب.

• وهذه مزرعة خصبة للمسلمين ليزرعوا فيها تعاليم دينهم؛ لذا بدأ الغرب بالشعور بالخطر؛ لأن الإسلام في بلادهم بدأ يحصد هذه النفوس التائهة، فبدأ مكرهم بالحرب المالية، وافتعلوا لها عنوانًا جديدًا لها هو الحرب على الإرهاب، ومقصدها هو حسر هذا الامتداد غير الطبيعي لتعاليم الإسلام في بلادهم.

• بدأت بتشويه صورة الإسلام، والتنفير من أهله، والتضييق على نشاطه حتى السلمي منه (كما فعلت قريش تمامًا مع النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما بدأ يكثر أتباعه من أبنائهم وجيرانهم)، وافتعال أحداث تشوِّه صورة الإسلام وبثّها في مجتمعاتهم، وإشعال حرب إعلامية واسعة على تعاليم الإسلام ومراكز تعليمه بطريقة ممنهجة، ومن خلال كثير من الأفكار الدَّخيلة لتمتزج مع تعاليم الإسلام [حقوق الإنسان، المدنية، العولمة، الديمقراطية، حريَّة الاعتقاد، تحرير المرأة، مؤتمرات السكان، إطلاق العنان للحريات..]. وبذلك ابتدأت المواجهة الصريحة مع رسالة الإسلام على مستوى الأرض جميعًا.

• ولقد استُدرِجَ الغرب من حيث لا يعلمون، ودخلوا مِضمار الصراع مع رسالة لها ولأهلها كفالة وحصانة من الله ﷻ، هذه الهجمة التي استُدرِجوا لها دعاية ودعوة للتعرف على هذا الدين العظيم، وهو استدراج يبشِّر بإذن الله تعالى بنصر قريب للحق وأهله [كيوم الأحزاب].

• لأن حسن الخاتمة في أي صراع هو حليف الحقِّ وأهلِه، ﴿فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ٤٩﴾[هود]، والمواجهة مع دين الله سبحانه وتعالى دائمًا محسومة لصالح دين الحق، وهذا وعد الله تبارك وتعالى : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ

عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ [المجادلة].

• والعالم الإسلامي يعيش مرحلة غربلة وتمحيص وتثبيت وتمييز بين أهل الحقِّ والباطل فيه، هذه المرحلة مرحلة تنقية وتزكية وتضحيات شبيهة بتضحيات الرَّعيل الأول من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وعلى الرغم من هذه الحرب الشَّرِسَةِ على الإسلام، إلا أنك تجد موجة عارمة نحو التوجُّه للإسلام وتعاليمه، وهذا يُبَشِّر بقرب الفرج مع النصر.

• إنه توجُّهٌ حقيقي نحو الإسلام يسير نحو الكمال في ظل إفلاس عالمي على مستوى القيم والأخلاق والتعاليم تتجسَّد فيه عوامل الهلاك باعتراف مفكِّريهم وفلاسفتهم.

• إن حالة الاستيئاس عند أهل الحقِّ هي علامة الفرج وبُشرى النصر، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[يوسف].

• رابعًا: الطائفة المنصورة وجهودها:

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ** }، وفي رواية: {**وَهُمْ ظَاهِرُونَ**}[1]، وفي رواية: { **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإمارة، ح (١٩٢٠)، والرواية الأخرى أخرجها البخاري: ك: الاعتصام، ح (٧٣١١) عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }[(١)].

وقد فُسِّرَ أَمْرُ اللهِ: بالريح التي تَقبِض أرواح المؤمنين بين يدي السَّاعَةِ، وفسَّره البعض: بأنه خروج المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• وهذه الأحاديث من أعظم المبشِّرات لهذه الأمَّة التي لن تعدم الخير على مَرِّ الدهور إلى قيام السَّاعَةِ.

• وهذه الطائفة قد يُراد بها أهل العلم، أو أهل الحديث، وقيل: إنها تشمل كل مؤمن موحد قائم على أمر الله.

• قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « يَحْتَمِلُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مُفَرَّقَةٌ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ شُجْعَانٌ مُقَاتِلُونَ، وَمِنْهُمْ فُقَهَاءُ، وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ، وَمِنْهُمْ زُهَّادٌ وَآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمِنْهُمْ أَهْلُ أَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ؛ بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ »[(٢)].

• في بعض الأحاديث إشارة إلى أن أهل الحقِّ القائمين عليه يكونون قلَّة في ظل سواد أعظم شغلتهم الدنيا وشهواتها.

• المراد بظهور هذه الطائفة على الناس؛ أي الغلَبة في الحُجَّة والبيان، أو كانت في ترغيم أهل الباطل بالسِّنان ودفع كيدهم، وحَسر قوتهم لئلا يَستمكِنوا من أهل الإسلام، وهناك قول بأن المراد بالظهور هو اشتهارهم بين الناس[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإمارة، ح (١٩٢٣) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) شرح النووي على مسلم (٧/ ٦٨).
(٣) انظر الصحيح المسند للعدوي، ص (٣٥٩).

• **خامسًا: ترادف المجددين للأمة على مر القرون:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: { **إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** }(١).

• هذه من رحمة الله تعالىٰ بالأمَّة، حيث تُبُثُّ فيها الروح في كل فترة وجيزة، ولم يُعدَم عصر من العصور من هؤلاء العظماء الذين يُحيون في قلوب الناس معالم الوَحْيَيْنِ.

• **معالم المجدِّد**: أن يكون عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة، مُتمسِّكًا بالسنَّة، قامعًا للبدعة، وأن يَعُمَّ علمُه أهلَ زمانه.

• وليس المقصود بالتجديد هنا التغيير والتبديل والتطوير، بل المراد به إحياء السنة وإماتة البدعة، وإحياء المعاني الأصيلة التي كان عليها الرَّعيل الأول.

وَقَالَ الْعَلْقَمِيُّ: « مَعْنَىٰ التَّجْدِيدِ إِحْيَاءُ مَا انْدَرَسَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَمْرُ بِمُقْتَضَاهُمَا »(٢).

سادسًا: الوعد بالخلافة الراشدة:

قال تعالىٰ: ﴿ **فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ** ﴿٤٧﴾ ﴾ [إبراهيم]، فالله عزيز، ومن مقتضيات عزَّته رفعة أهله وترغيم أعدائه وإذلالهم، وهذا وجه انتقامه، ومترتِّبات عزَّة الله المتعلِّقة بوعده ستكون في آخر الزمان عامة عموم الأرض جميعًا، ويَصدُق فيها قولُ الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **لَيَبْلُغَنَّ هَذَا**

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الملاحم، ب: ما يذكر في قرن المائة، ح (٤٢٩١)، والحاكم، ح (٨٥٩٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، ح (١٨٧٤).
(٢) عون المعبود (١١/ ٣٨٦).

الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ }(١).

وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ذكر فيه النبوة، ثم الخلافة على منهاج النبوة، ثم ملكًا عاضًّا، ثم ملكًا جبريًّا، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة(٢).

• بدأت الأمَّة بحكم النبوة التي انتهت بموت النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم الخلافة الراشدة، والتي انتهت بعام الجماعة وتنازُل الحسنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم كان الملك العاضّ الذي انتهى بسقوط الخلافة العثمانية (والله أعلم).

والأمَّة الآن في مرحلة الحكومة الجَبْرِية التي لا يُعلَم متى انتهاؤها، ولا يكون بعدها إلا الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وهذا وعد من الله للأمة في آخر الزمان.

• فالبشرى في هذا الحديث: بأن ما عليه الأمَّة الآن من ظلم وحكم جبريٍّ لن يدوم حاله، بل يخلفه الخير بأعلى درجاته، حيث تعود الخلافة الراشدة من جديد للأمة.

• والحديث يتضمن حثًّا للأمة على السعي لإقامة الخلافة الراشدة في الأرض، فكما كانت الخلافة الراشدة الأولى نتيجة لجهد عظيم وتضحيات عظمى، فكذلك الخلافة الراشدة الثانية.

---

(١) أخرجه أحمد في مسند الشاميين، ح (١٦٩٥٩)، والحاكم، ح (٨٣٢٤) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين (المستدرك ٤/ ٤٧٦).

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٦٩٥٧) بسند لا بأس به.

الفصل الثالث

علامات الساعة الكبرى (الآيات العظام)

أولاً: عدد العلامات الكبرى وترتيبها:

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: { **مَا تَذَاكَرُونَ؟** }. قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: { **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَان، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** }(١).

• سُمِّيت هذه العلامات بالآيات، لما فيها من إعجاز خارق للعادة، فكل هذه الأمور خارقة لنواميس الكون.

• **وآخر هذه العلامات** هو: **النار التي تخرج من اليمن، أو الريح التي تقبض أرواح المؤمنين**، وقبلها علامتان، وهما: **طلوع الشمس، ودابة الأرض**، وثلاث علامات ثبت التلازم بينها وهي: **الدَّجَّال، ثم نزول عيسى، ثم يأجوج ومأجوج**، أما العلامات الباقية، وهي **الخسوف والدُّخَان** فهي غير معلومة الترتيب على سبيل الجزم.

• وهناك اعتبار أن الخَسف بجزيرة العرب قد يكون علامة من علامات

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في الأيات التي تكون قبل الساعة، ح (٢٩٠١).

خروج المهدي، ودليلًا من دلائل صدقه، وعلى هذا يمكن القول إن الترتيب للعلامات - والله أعلم - كالتالي:

(خسف المشرق، خسف المغرب، خسف جزيرة العرب، ثم الدَّجَّال، ثم نزول عيسى بن مريم، فيأجوج ومأجوج، ثم طلوع الشمس من مغربها، ثم الدابة التي تكلم الناس، ثم النار التي تخرج من مقر عدن، أو الريح التي تلقي الناس في البحر).

• وتبقى علامة **الدُّخَان**، واحتمال أن تكون بعد **خسف المشرق وخسف المغرب، وقبل خسف جزيرة العرب.**

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: **{ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَان، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُمْ }**[١].

• هذا الحديث يُشيرُ إلى ضرورة الاستعداد لعلامات الساعة بالمبادرة والإسراع بالإيمان والعمل الصالح، وفيه إشارة إلى أن هذه الآيات العظام تقع فجأة، مما يتطلب المسارعة بالتوبة حتى لا يفجأ بها، وكان لسان حال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الاستعداد والترقُّب في كل وقت خشية طروق هذه الآيات العظام.

فعن النَّضْرِ، قَالَ: كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى عَهْدِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَنَسًا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ! هَلْ كَانَ يُصِيبُكُمْ مِثْلُ هَذَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ قَالَ: «مَعَاذَ اللهِ، إِنْ كَانَتِ الرِّيحُ لَتَشْتَدُّ فَنُبَادِرُ الْمَسْجِدَ مَخَافَةَ الْقِيَامَةِ »[٢].

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في بقية من أحاديث الدجال، ح (٢٩٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود: جماع أبواب الصلاة، ب: الصلاة عند الظلمة، ح (١١٨٤)، والحاكم في المستدرك، ح (١٢٤١)، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وضعَّفه الألباني.

فإذا كان هذا هو حال الصحابة، واستعدادهم مع بُعْدِ عهدهم، فكيف يكون حالنا مع قرب عهدنا من الساعة أو إرهاصاتها العُظمى؟!

• والمقصود بأمر العامة، هو قيام الساعة نفسها، أما خاصة أحدكم أو خويصة أحدكم فيراد بها الموت، ومن مات قامت قيامته.

ثانيًا: سرعة تتابع الآيات العظام:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا** }[1].

• فقد تحدُث هذه العلامات في قَرْن واحد - والله أعلم - تنتهي بعده الدنيا.

• وفي الحديث إشارة إلى سرعة وقوع هذه الآيات، وتعلُّق بعضها ببعض.

ثالثًا: الحدث الكوني وعلاقته بآية الدُّخَان والدَّجَّال:

قال تعالى: ﴿ **أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ** (١٧) ﴾ [الملك]. وقال تعالى: ﴿ **أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا** (٦٨) ﴾[الإسراء].

• فالآيتان صريحتان في تهديد كفار البشرية بالحجارة من السماء، وقد جاء الاستفهام فيهما على وجه التوبيخ والتهديد، أي كيف تأمنون وقوع حجارة عليكم من السماء كعقوبة لكم على كفركم؟ وقد وقع مثل ذلك على أقوام سابقة، والأصل فيكم ما دمتم وقعتم في موجبات العقاب أن تكونوا على حذر تام،

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٧٠٥٨)، والحاكم، ح (٨٦٣٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

وَوَجَلٍ وترقُّب لوقوع حِجارة من السماء عليكم، والأمر ليس ببعيد عنكم، وليس مستغربًا، وما هي من الظالمين ببعيد.

• قال تعالىٰ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ۝١٥ ﴾[الدُّخَان].

• بعض المفسِّرين يَرَىٰ أنها وقعت في العهد المكي، وبعضهم يرىٰ أن آية الدُّخَان قادمة، وهي من علامات الساعة، والآية قد تضمنت عدة محاور منها:

• قول الله تعالىٰ لنبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾ إشارة إلىٰ أن هذه الآية حاصلة لا محالة، ووصف الدُّخَان بأنه مبين، أي واضح حقيقي.

• مصدر الدُّخَان السماء، أي يأتي من أعلىٰ، يَغشَىٰ الناسَ بالإتيان والتغطية والإفزاع، يحجُب عنهم الرؤية.

• كما وصف الدُّخَان بأنه عذاب أليم في إشارة واضحة إلىٰ أنه عقوبة فظيعة تصيب الناس، وهذا الحدث سيكون جَلَلًا، ولا يجد الناس لهم مَفرًّا منه إلا باللجوء إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وسياق الآية يُشيرُ إلىٰ أن إيمانهم يُعتبَر من باب الاضطرار الذي يواكِب الشدائد، ويتلاشَىٰ بعده.

• قوله سبحانه بأنه سيكشف العذاب قليلًا، إشارة إلىٰ أن هذا الحدث قريب من الساعة، وهي البطشة الكبرىٰ.

• عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: غَدَوْتُ عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ:

«مَا نِمْتُ الْبَارِحَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ» ، قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: « قَالُوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنَبِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدَّجَّالُ »(١).

• قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾[الطور].

تتضمَّن هذه الآية تهديدًا لكفار قريش، وفيها إشارة عجيبة، وهي الرابط بين رؤية قطعة كبيرة من الحجارة ساقطة وبين السحاب الأسود الكثير المتراكم.

وهذا المعنىٰ أشار إليه علماء الفلك بقولهم: إن نزول نيزك علىٰ الأرض كفيل بخلق سحابة شديدة من الدُّخَان المتراكم تحجب رؤية الشمس جزئيًّا أو كليًّا.

• وهذه الآية جاءت بعد خمسة عشر استفهامًا دالًا علىٰ تعنُّت الكفار وغطرستهم وغرورهم، وتفنُّنِهم في الجحود والكفر، وتحمل في طياتها غضب ربِّ البرية جلَّ وعلا علىٰ حالهم، وبعد هذه الآية بخمس آيات أقسم الله سبحانه وتعالىٰ بنجمٍ يسقط، أو بالنجم إذا هوَىٰ.

• ويلاحظ أن ترتيب سورة النجم بعد سورة الطور، ثم بعدها سورة القمر، وجاء ذكر الآزفة (التي ليس لها من دون الله كاشفة) التي خُتِمت بها سورة النجم، إشارة إلىٰ اقتراب الساعة، وذلك بداية سورة القمر.

---

(١) أخرجه الحاكم: ك: الفتن والملاحم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، ح (٨٤١٩).

• الدَّجَّال وآية الدُّخَان:

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: ...ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - أي لابنِ صيَّادٍ -: { **إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا** }، وخبَّا له (**يوم تأتي السماء بدخان مبين**)، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ لَهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ** }[١].

في هذا الحديث إشارة نبوية إلى أن من علامات خروج الدَّجَّال حصول آية الدُّخَان قبله، وقد تكون آية الدُّخَان هي الممهِّدة لخروج الدَّجَّال، ولها علاقة بالقَحْطِ الذي يُصيبُ الأرض، ولها علاقة بتقارُب الزمان قبل الدَّجَّال.

• وعن سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في خطبته بعد كسوف الشمس حيث قال: {... **وَإِنَّهُ وَاللهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا آخِرُهُمُ الْأَعْوَرُ الدَّجَّالُ، مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى** } ... قَالَ: { **وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى تَرَوْا أُمُورًا يَتَفَاقَمُ شَأْنُهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَتَسَاءَلُونَ بَيْنَكُمْ هَلْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ذَكَرَ لَكُمْ مِنْهَا ذِكْرًا، وَحَتَّى تَزُولَ جِبَالٌ عَلَى مَرَاتِبِهَا، ثُمَّ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ الْقَبْضُ** }، وفي رواية الحاكم: { **وَحَتَّى تَزُولَ جِبَالٌ عَنْ مَرَاسِيهَا** }[٢].

• في الحديث إشارة إلى وقوع أمور مَهولَةٍ مُزَلْزِلَةٍ دون أن يكون لها ذكر في سُنَّة النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولعل بعض الفتن التي تَعيشها الأمَّة اليوم، من هذا القبيل،

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجنائز، ب: إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلَامُ، ح (١٣٥٤)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر ابن صياد، ح (٢٩٣٠).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٠١٧٨)، والحاكم، ح (١٢٣٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

حيث حارَ كثير من العلماء في إيجاد توصيف دقيق لها في السُّنَّة النَّبويَّة.

• وفي الحديث إشارة إلى زوال جبال من أماكنها قبل الدَّجَّال، وهذا يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى المدينة المعاصرة التي أزالت كثيرًا من الجبال لإنشاء المدن والعمارات وما شابه ذلك، أو وهو الأرجح أن تزول هذه الجبال عن أماكنها نتيجة تغييرات جيولوجية ضخمة - بأمر الله تعالى - تتعرَّض لها الأرض تؤثِّر في الجبال وتنسف بعضها وتغيِّر من معالمها، ويناسب ذلك الإرهاصات والتغيُّرات غير المعهودة بين يدي الدَّجَّال.

• القحط العظيم الذي سيصيب الأرض:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا** }(١).

وهذا كلام فيه أسرار عجيبة جدًّا تدل على مدى الدِّقَّة النبويَّة في توصيف المستقبل، وقد تحدَّث بعض علماء الفلك أنه بعد نزول نيزك ترتفع هالة من الدُّخَان تغطي الكرة الأرضية، وتحجب عنَّا الشمس سنة كاملة على الأقل، ويترتَّب على ذلك القضاء على الغطاء النباتي.

• عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « لِلدَّجَّالِ آيَاتٌ مَعْلُومَاتٌ: إِذَا غَارَتِ الْعُيُونُ، وَنَزَفَتِ الْأَنْهَارُ، وَاصْفَرَّ الرَّيْحَانُ، وَانْتَقَلَتْ مَذْحِجُ وَهَمْدَانُ مِنَ الْعِرَاقِ، فَنَزَلَتْ قِنَّسْرِينَ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ غَادِيًا أَوْ رَائِحًا »(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِمَارَتِهَا قَبْلَ السَّاعَةِ، ح (٢٩٠٤).
(٢) أخرجه الحاكم: ك: الفتن والملاحم، ح (٨٤٢٠)، وقال عنه: صحيح الإسناد، وأقرَّه الذهبي.

• هذا الأثر يُشيرُ إلىٰ سنوات القحط الثلاث التي بين يدي خروج الدَّجَّال، وهذا الأثر يساعدنا علىٰ فهم المراد ببعض أسئلة الدَّجَّال لتميم بن أوس الداري ومن معه عن نخل بَيْسان، وعن عين زَغر، فقد سألهم عن مواقع يعرفونها في بلادهم.

• وفي هذا الأثر إشارة عجيبة جدًّا وهي اصفرار الرَّيْحانِ، وقد يكون هذا لقلَّة المياه، أو حجب الضوء عنه؛ فذلك يُعزِّز ما ذكرناه من نتائج مترتِّبة علىٰ حَجب الدُّخَان لأشعة الشمس.

• **حجارة مسوَّمة شبيهة بحجارة قوم لوط** عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا لَا تُكِنُّ مِنْهُ بُيُوتُ الْمَدَرِ، وَلَا تُكِنُّ مِنْهُ إِلَّا بُيُوتُ الشَّعَرِ }**(١).

• كلمة (**تُكِنُّ**): الكنُّ وقاء كل شيء وسِترُه، والكنُّ ما يَرُدُّ الحرَّ والبرد من الأبنية والمساكن (٢).

وبُيُوتُ الْمَدَرِ: هي البيوت المبنية من الحجارة المطبوخة، ويراد بها هنا الحضر أو المدن، أما بيوت الشعر فكناية عن بيوت البدو أو أصحاب البادية، والوضع الطبيعي المعهود أن بيوت المدر أو بيوت الطين والخراسانة أكثر حفظًا لأهلها من بيوت الشعر، وهذا أمر معلوم، لكن الغريب في الحديث أنه أشار إلىٰ مطر لا تحفظ منه بيوت المدن أو البيوت المصنوعة من الحجارة، بينما تحفظ منه بيوت الشعر.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٧٥٦٤)، انظر صحيح ابن حبان (١٥/ ١٧٤)، والمسند الصحيح للعدوي (٤٢١)، وقال إسناده حسن.
(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣٦٠).

فأي مطر هذا؟!.

ومن تتبَّع سياق القرآن يجد أن لفظة (مطر) بجميع تصريفاتها [أمطرناهم، مطرًا، أُمطرت، أمطرنا] في أغلب الآيات لم تستخدم إلا للدلالة على الرجم بحجارة من السماء؛ وخاصة على ما أصاب قوم لوط، وجاء وصف الحجارة تارة بأنها مسوَّمة أو من سِجِّيل، ومن معاني اللفظتين أن كل حجر مكتوب عليه أو مسجَّل عليه مَن يستحق به العقاب، فهي حجارة موجَّهة بكل دقة لا تخطئ هدفها أبدًا.

• فالحديث يُشيرُ إلى عقوبة ربانية تصيب المدن على وجه الخصوص، وينجو منها أهل البوادي، وقد تكون عقوبة ربانية على معاصٍ معينة، ودلالة الواقع تُشيرُ إلى أن المعاصي ووسائل الترَف والمهلكات واستحلال المحرَّمات (من الشذوذ وفاحشة قوم لوط والسحاق وغيرها) الموجبة للعذاب موطنها المدن لا البوادي، وهذا ملاحظ معلوم في زماننا.

• وفي الحديث إشارة إلى أن الحافظ من هذا المطر هو الخروج من أرض الموبقات، وبيوت المدر كناية عن المدن التي ستنتشر بها الموبقات وإشارة إليها.

• عودة الغطاء النباتي لجزيرة العرب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا** }[1].

• في هذا الحديث إشارة إلى حدوث تغيُّرات في الكرة الأرضية يترتَّب عليها

(١) أخرجه مسلم: ك: الزكاة، ب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح (١٥٧).

تغيُّر مناخ الأرض، كما أن فيه دلالة على أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا.

• ويؤكد ذلك أن بحيرات البترول تكوَّنت بسبب تحول مواد عضوية لحيوانات ونباتات؛ مما يُشيرُ إلى وجودها بكثرة في ذلك المكان في الماضي.

• وقد يحتمل أن تكون هناك علاقة بين كسف الأرض وحدوث هذا التغيير الجذري.

• تقارب الزمان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ الْخُوصَةُ** }(١).

• وتقارب الزمان على حقيقته وليس مجازيًا، مما يُشيرُ إلى أن هناك اضطرابًا ملحوظًا سيطرأ على حركة الكرة الأرضية.

• وإذا ربطنا هذه العلامة بما يقع في زمن الدَّجَّال، حيث يكون يومه الأول كسنة، ويومه الثاني كشهر.. أصبح عندنا تصور أنه سيحدث اضطراب للأرض.

ومما يدل على أن تقارب الزمان حقيقي وليس مجازيًّا، هو استفسار الصحابة عن كيفية الصلاة في يوم كسنة، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ** }(٢)؛ مما يدل صراحة على أن الطول الزمني لهذا اليوم هو سَنَةٌ حقيقية.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٠٩٤٣) بسند حسن، وله شاهد عند الترمذي عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، انظر الصحيح المسند للعدوي (٤١٧)، وصحَّحه الألباني في سنن الترمذي، ح (٢٣٣٢)، وفي صحيح الجامع، ح (٧٤٢٢).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ح (٢٩٣٧).

• حسر الفرات عن جبل من ذهب:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: « لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، قُلْتُ: أَجَلْ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: { **يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**} »(١)، وفي رواية: { **فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو** }(٢)، وفي رواية: { **فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا** }(٣).

• نهر الفرات نهر معروف في العراق، وسينضب ماؤه حتى يبدو الطين في قاعه، فيظهر كنز كبير من الذهب، وقد يراد انكشاف جبل عظيم من الذهب في وسط الماء قد يكون نتيجة لتحرُّك في طبقات الأرض.

• وغالب الظَّنِّ أن انحسار الفرات سيكون في مرحلة لاحقة تغيب فيها العقول ويكثر الهرج، وينتشر القحط ويقل المطر، مثل المرحلة التي بعد آية الدُّخَان، وقبل الدَّجَّال، وذلك لتغيُّر المناخ وانحسار المياه.

• ومن المحتمل أن يحدث هذا في مرحلة فوضوية، وليس في عهد الدولة التي نعيشها حيث إن أي كنز أو اكتشاف تؤمِّمُه الدولة وتحرسه، وسياق الحديث يُشيرُ

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: قوله: {لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب}، ح (٢٨٩٥).
(٢) المصدر السابق، ح (٢٨٩٤).
(٣) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: خروج النار، ح (٧١١٩).

أن كل إنسان يتصوَّر أنه يملك القدرة على هذا الكنز.

• عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ** } - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ - { **فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ** }(١).

• قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره للحديث: « فَهَذَا إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْكَنْزِ فِيهِ - أي حديث ابن ماجة - الْكَنْزُ الَّذِي فِي حَدِيثِ الْبَابِ - أي كنز الفرات - دَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَقَعُ عِنْدَ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ وَذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْلَ خُرُوجِ النَّارِ جَزْمًا، وَاللهُ أَعْلَمُ »(٢).

[ويدق قلبي عندما أرى الرايات السُّود لتنظيم الدولة الإسلامية الذي يُطلِق عليه الغربُ «داعش»، وأرى القتل والقتال. أشعر أن ثمة أحداثًا قد تُنبِئ عنها الأيامُ القادمة، وإن كنتُ من الذين لا يحبون إسقاط الأحداث على الواقع والجزم بها حتى لا يتَّكِل الناس. فأقول من المحتمل، والله أعلم].

• وفي أثرٍ عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «الْفِتَنُ ثَلَاثٌ، تَسُوقُهُمُ الرَّابِعَةُ إِلَى الدَّجَّالِ الَّتِي تَرْمِي بِالرَّضْفِ، وَالَّتِي تَرْمِي بَالنَّشَفِ، وَالسَّوْدَاءُ الْمُظْلِمَةُ، وَالَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ »(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجة: ك: الفتن، ب: خروج المهدي، ح (٤٠٨٤)، والحاكم في الفتن، ح (٨٤٣٢)، وقال عنه ابن كثير: هذا إسناد قوي صحيح.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨٧).

(٣) كتاب الفتن لنعيم بن حماد، رقم (٩٢)، وابن أبي شيبة، ح (٣٧١٣٢)، والحاكم نحوه في الفتن،

والنَّشَفُ: وَهِيَ حِجَارَةٌ سُودٌ كأَنها أُحْرقت بِالنَّارِ، والرَّضْفُ: الحجارة التي أُحْمِيَتْ بالشمس، أو هِيَ الحِجارة المُحْماة عَلَى النَّارُ، أو الحجارة التي يوقَد عليها حتى تصير لهبًا (١).

• الخسوف العظمى:

وقد ذكرنا الأحاديث الدالة على خَسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب.

عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ** }. قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: { **يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ** }(٢).

• وقد يُراد - والله أعلم - بأن هذا الجيش الذي يُخَسف به هو الجيش الذي يَقصِد قتال المهدي عندما يَلوذ بالكعبة، ويكون مبعثه من الشام، فيقع به الخسف العظيم، وهو الخسف الثالث في الآيات العظام.

ح (٨٤٣٥)، وقال عنه: صحيح على شرط الشيخين.

(١) لسان العرب، لابن منظور (٩/ ١٢١، ٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري: ك: البيوع، ب: ما ذكر في الأسواق، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ح (٢٨٨٢).

• خروج أهل المدينة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَدِينَةِ: **{لَيَتْرُكَنَّهَا أَهْلُهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً لِلْعَوَافِي}** يَعْنِي السِّبَاعَ وَالطَّيْرَ(١).

• عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ }**، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ، - أَوْ مَنْكِبِهِ - ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا»، أَوْ «كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ»، يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ(٢).

• وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ: مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ »(٣).

• الشاهد في هذه الأحاديث أن أهل المدينة سيتركون المدينة وهي أينع ما تكون، وهذا التَّرْكُ لا بد أن يكون وراءه سببٌ قاهرٌ، قد يكون أمراء السُّوء، وقد حصل مثله في عهد يزيد في وقعة الحرَّة سنة (٦٣) هـ.

• وفي حديث معاذ أن خراب المدينة له علاقة زمنية بعُمران بيت المقدس،

---

(١) أخرجه البخاري: ك: فضائل المدينة، ح (١٨٧٤)، ومسلم: ك: الحج، ب: في المدينة حين يتركها أهلها، ح (١٣٨٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٢٠٢٣)، وأبو داود: ك: الملاحم، ب: في أمارات الملاحم، ح (٤٢٩٤) واللفظ له، وحسَّنه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ح (٢٨٩١).

وهذا يكون في آخر الزمان.

• وهذا الخروج قد يكون بسبب الحِمَمِ التي تخرج من جبل الوراق وتقذف بها نحو المدينة في ثورة بركانية هائلة، وقد أشار بعض العلماء المعاصرين إلىٰ أن المدينة المنورة محاطة بحوالي ٧٠٠ فوهة بركانية سَجَّلت ما لا يقل عن ٣٠٠ هزة أرضية خلال سنة واحدة، مما يؤكد أنها لا تزال نشطة، وبالتالي لا بد لها أن تفور في يوم من الأيام، وهذا ما يُشيرُ إليه هذا الحديث.

• عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَتَعَجَّلَتْ رِجَالٌ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَبَاتَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِتْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمْ، فَقِيلَ: تَعَجَّلُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: { **تَعَجَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَالنِّسَاءِ أَمَا إِنَّهُمْ سَيَدَعُونَهَا أَحْسَنَ مَا كَانَتْ** }، ثُمَّ قَالَ: { **لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ جَبَلِ الْوِرَاقِ، تُضِيءُ مِنْهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بُرُوكًا بِبُصْرَى كَضَوْءِ النَّهَارِ** }(١).

• وقد ورد في الأثر ما يدل علىٰ الارتباط بين الخروج من المدينة وبين فتنة الدَّجَّال.

فَعَنْ مِحْجَنِ بنِ الأدرعِ الأسلميِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِي، فَصَعِدَ عَلَىٰ أُحُدٍ، فَأَشْرَفَ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: { **وَيْلُ أُمِّهَا قَرْيَةً يَدَعُهَا أَهْلُهَا خَيْرَ مَا تَكُونُ، أَوْ كَأَخْيَرِ مَا تَكُونُ، فَيَأْتِيهَا الدَّجَّالُ، فَيَجِدُ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا مَلَكًا مُصْلِتًا بِجَنَاحِهِ فَلَا يَدْخُلُهَا** }(٢).

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢١٢٨٩)، والحاكم في الفتن والملاحم، ح (٨٣٦٦)، وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي (المستدرك ٤/ ٤٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٩٧٦)، والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٩).

• أنظمة الحرب في مرحلة الملاحم العظمى تكون تقليدية:

من الملاحظ على أكثر علامات الساعة في مرحلة المهدي والدَّجَّال والملحمة العظمى أنها استخدمت عبارات كالسَّيف والرُّمح والخيل وغيرها. كما وردَ عن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: «... إنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً »، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ** }(١).

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَالله لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ الله، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ الله، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، ح (٢٨٩٩).

دَمَهُ فِي حَرْبَتِه }(١).

• فالخيول والفوارس والسيوف والحربة كلها تُشير إلىٰ أن أسلوب القتال من أساليب الحروب القديمة وليست الحديثة؛ لذا قال ﷺ: **{ الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ }**(٢).

• فوسائل القتال المعاصرة ليست دائمة، بل هي تمثِّل مرحلة طارئة، ويرجع الأمر إلىٰ سابق عهده في استخدام الوسائل القديمة في القتال ومن ضِمنها الخيل.

وهذه الوسائل القتالية المعاصرة لم تكن معهودة قبل قرن من الزمان، ومدة بقائها المستقبلية مجهولة، وقد تكون قصيرة جدًّا وستئول إلىٰ فَناء، وقد يكون ذلك إثر حدثٍ كونيٍّ مهولٍ سيعصف بالأرض ويؤثِّر علىٰ أنظمتها أو قوانينها التي استمدَّت من خلالها المدنية الحديثة التكنولوجية المعاصرة.

ومن المعلوم أن أي اختلال في الغلاف الجوي له آثاره علىٰ الاتصالات وعلىٰ الطيران و... إلخ.

• إن ظاهرة مثل ظاهرة «الانحباس الحراري» مثلًا (الدفيئة) يرىٰ فيها العلماء المتخصِّصون آثارًا مدمِّرة قد تُنهي الحياة المدنية المعاصرة، ويربطون بينها وبين حصول أعاصير مدمِّرة وأوبئة قاتلة، ومجاعات وقحط، وحروب طاحنة، وتغيُّر

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، ح (٢٨٩٧).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: الجهاد ماض مع البر والفاجر، ح (٢٨٥٢)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ح (١٨٧٣)، عن عروة البارقي رضي الله عنه.

بيئي ومناخي، وغرق مدن، بل دول بأكملها تحت الماء، واختلال في كثير من القوانين التي تحكم الكرة الأرضية.

• فإذا كانت هذه تصوُّرات العلماء المستقبلية لظاهرة بسيطة «كالانحباس الحراري» فكيف يكون تصوُّراتهم لو سقط على الأرض نَيِّزكُ ضخم قوته التدميرية والحرارية تعادل القنابل النووية؟!

• ومن العجب أن الأناجيل قد أكَّدت هذه المعاني على لسان المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ(١). **فمن علامات الساعة: ظهور أنبياء كذبة، ومسحاء كذبة، وزلازل عظيمة، ومجاعات وأوبئة، وتسلط أهل الباطل على أهل الحق، وعلامات كونية تسبق نزول عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وتقارب الزمان، وكرب وحيرة وأمواج ثائرة.**

***

• السنن الربانية في إهلاك الأمم:

بقاء الأمم أو هلاكها يخضع لقانونٍ ربانيٍّ عامٍّ مبنيٍّ على أسباب ونتائج؛ بل إن السنن الإلهية في إهلاك الأمم أكثر ثباتًا من القوانين الطبيعية في الكون، وهي تتضمن سُنَنَ النصر أو الهزيمة، أو البقاء أو الهلاك، قال الله ﷻ: ﴿ **سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢** ﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ٧٧** ﴾

---

(١) انظر: إنجيل متَّى، الإصحاح الرابع والعشرون [العهد الجديد (٤٤)].
وإنجيل لوقا، الإصحاح الثالث والعشرون [العهد الجديد (١٣٥)].
وإنجيل مرقس، الإصحاح الثالث عشر [العهد الجديد (٨٠)].

[الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر].

• السنة الربانية المهلكة:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل]، تأمَّل: مَكَر، وقال تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس].

وغير ذلك من الآيات التي تَستَشعِرُ فيها أن سبب الهلاك: (لما ظلموا، ففسقوا فيها، العجب والغرور، وظن أهلها أنهم قادرون عليها).

فأهم أسباب الهلاك: الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، والكفر والفسق، والاستكبار في الأرض، ووجود النموذج الفرعوني.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ

يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥﴾ [فصلت].

• ونموذج عادٍ والنموذج الفرعوني موجودان في عصرنا، فترىٰ مَن يقول بلسان حالِه: مَن أشدُّ منَّا قوة؟ ومَن يرىٰ أهل الحقِّ والثبات علىٰ الدِّين شِرذمةً قليلين، وهناك مَن يرسل إلىٰ المدائن والدول ليحشر كل طاقاته وجيوشه للكيد للإسلام، وهناك مَن يرىٰ استخدام القوة بأبشع صورها مع كل من يثبت علىٰ دينه، ويَتمثَّل منطق فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾.

فالكيد لأهل الإسلام من خلال التآمر عليهم واضح في عصرنا، ومكرهم ماثل أمام الأعين، سواء كان مَكرًا بالقرآن نفسه أو السُّنَّة، أو بمدارس القرآن، أو بالمناهج الإسلامية في الدراسة، أو بتعاليم الإسلام وثوابته من خلال الكيد للحِجاب والعفَّة والغَيرة علىٰ الأعراض، ومصادرة هذه الأفكار، وبثِّ الأفكار المسمومة في الأذهان باسم تحرير المرأة أو حقوقها أو مؤتمر السكان.

• **ومن هذه الأسباب المُهلكة:** تزيين الأرض التي يترتَّب عليه ثقة الإنسان العمياء بنفسه، وسيطرة الوساوس الشيطانية عليه بأنه يظن أنه قادر علىٰ فعل أي شيء.

• **ومن الأسباب المهلكة:** انتشار الفواحش والموبقات في الأرض، والإعلان عنها عبر أجهزة التلفاز والفضائيات والإنترنت.

• **ومن الأسباب المهلكة:** فتح باب المواجهة بين الحقِّ والباطل، حتىٰ أصبح المستهدف الوحيد في الأرض هو المسلم ودينه وكتابه، بل استدرج حكام وملوك الأرض، وتناسَّوا خلافاتهم واتفَّقوا علىٰ حرب واحدة لأول مرة علىٰ مستوىٰ الكرة الأرضية بأكملها.

• **الإنذارات التي تسبق الهلاك:**

من المعلوم أنه قبل نزول العذاب المحقَّق تأتي بعض الإنذارات الربانية من باب الرأفة والرحمة. قال تعالىٰ: ﴿ **أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴿٤٧﴾ ﴾ [**النحل**]، والمراد بالتخوُّف الإنقاص من قدرتها تدريجيًا، وذلك من خلال تسليط جنود الله التي لا يعلمها إلا هو سبحانه.

• انظر إلىٰ دولة فرعون كيف أنذرها الله سبحانه وتعالىٰ ببعض الآيات قبل العقوبة الماحقة، قال تعالىٰ: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ** ﴿١٣٣﴾ ﴾[الأعراف].

• وهي تمثِّل في عصرنا هذا ما يُصيب به الله تعالىٰ الدول العاتية من دول الكفر والظلم بالأعاصير والفيضانات وموجات الجفاف والأمراض الماحقة للإنسان والحيوان والنبات والطير (كالإيدز وجنون البقر وأنفلونزا الطيور، وغير ذلك).

• فإن لم يكن لهذه الإنذارات صدًىٰ في قلوب هؤلاء، وازدادوا غرورًا وعَنجهية، عندها يرتفع مستوىٰ الإنذار إلىٰ درجة أعلىٰ ليُوصَف بموجة قاتلة مسمومة في متنفس المترفين في الأرض ففي لحظات يأكل البحر قرابة النصف مليون إنسان في مناطق السياحة والترف في شواطئ جنوب شرق آسيا، والحكمة ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴿٧٢﴾ ﴾، لعلهم يتنبهون إلىٰ أن هناك قوة حقيقية مهيمنة علىٰ الكون كله وبيدها مقاليد كل شيء، فإن لم يحصل الارتداع، عندها يصدق فيهم قول الحقِّ سبحانه:

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١١٧﴾[آل عمران]، ويكونون أقرب شيء من سطوة ربانية عظمىٰ مباغتة لهم، وتأتي في لحظة فرح وثقة واستهزاء بأهل الحقِّ وشعور بالقدرة المطلقة وإحساس بالأمن. ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾[الأعراف].

• ومن الملاحظ أن أكثر المؤتمرات والمؤامرات في الأرض هي للكيد بأهل الإسلام ودينهم، والعالم كله به شبه متواطئ في جرائم تشريد وقتل وتضييق علىٰ المسلمين في الأرض، وأهل التَّرَف قد دخلوا مِضمار الشرِّ بأوسع أبوابه لإشاعة الفاحشة والمنكرات في الأرض كلِّها، وهذا لأول مرة في كامل الكرة الأرضية، وتكرَّرت إنذارات الهلاك، وتكرَّر نموذج قوم نوح مرة ثانية، فناسب الأمر أن تكون العقوبة شاملة، ولَمَّا تحول الصراع في الأرض إلىٰ صراع واحد مُوَجَّه نحو أهل الرسالة في الأرض ناسب ذلك أن تكون العقوبة أشبه بطوفان قوم نوح، ولكن بشكل آخر كآية الدُّخَان مثلًا لتنهي صفحة بالية من البشرية وتفتح أخرىٰ مُمَهِّدةً للعالمية الثانية للإسلام، وليست مُنشِئَةً لها.



الفصل الرابع

المهدي المنتظر

أولاً: ظاهرة المهدي حقيقة أم وهم:

المهدي - في اعتقاد أهل السنة والجماعة - رجل صالح من عِترة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخرِجه الله تعالىٰ في آخر الزمان حال انتشار الظلم والجور في الأرض، فيجدِّد الله به الملَّة، ويملأ الأرض في عهده قِسطًا وعدلًا، ويَملك سبع سنين أو تسع.

• وظاهرة المهدي اختلط فيها الحقِّ بالباطل والغثُّ بالسَّمين، واعتبروها من الأوهام أو العقائد الدخيلة علىٰ المسلمين، ولْنبدأ بطرح رأي المُنكرين وشُبُهاتهم والرُّدود عليها:

• المنكرون لظاهرة المهدي:

وهم في غالبهم إما أنهم يَرون أن المقصود بالمهدي عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو أنهم ممن ليس لهم بضاعة في علم الحديث وصنعته، أو أنهم من روَّاد المدرسة العقلانية ممن حكَّمت العقل في الشرع، أو تأثَّرت بكلام وآراء المستشرقين ومناهجهم، أو من باب ردَّة الفعل لما يراه من اختلاط هذه الظاهرة ببعض الأوهام والضلالات كما عند الشيعة.

ولقد أنكر ظاهرةَ المهدي من العلماء القدامىٰ كلٌّ من:

• **مجاهد والحسن البصري:** فهما يَريان أن المهدي هو عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما

ورد إلينا إنما وصل من طرق ضعيفة لا يُعتَدُّ بها [١].

ودليلهم حديث ضعيف أو منكر أو موضوع، وهو: { **وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** }[٢]، وهذا الأثر ضَعَّفه البيهقي، وقال عنه الذهبي في الميزان: «منكر»، وقال الصنعاني: «موضوع»، وكذلك ضعَّفه الآبري والقرطبي، وقال الحاكم في المستدرك: « فَذَكَرْتُ مَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ عِلَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبًا لَا مُحْتَجًّا بِهِ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَلَى الشَّيْخَيْنِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ »[٣].

وعلى فرض صحَّة هذا الأثر فليس فيه ما يَنفي خروج المهدي، ويكون غاية معناه: لا مَهدي كاملًا معصومًا إلا عيسى ابن مريم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ. بحيث يصح أن يقال: لا مهديَ في الحقيقة سواه، وإن كان غيره مَهديًّا [٤].

وهذا الأثر الموضوع ورد بطرق ضعيفة جدًّا مما يعزِّز احتمالية أنه منسوب لمجاهد والحسن البصري كذبًا، وعلى فر ض صحة وروده عنهما فهو اجتهاد منشؤه حديث ضعيف السَّنَدِ محتملُ الدلالة.

• **ابن خلدون:** المؤرِّخ المشهور، وهو لم يجزم بتكذيب خروج المهدي، وإنما غاية رأيه أنه يشكُّ في خروجه.

قال ابن خلدون: «فإن صحَّ ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم (أي من الفاطميين القاطنين في الحجاز وغيرها) ويؤلِّف الله بين

---

(١) المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الضعيفة، عبد العليم البستوي، ص (٣٢).
(٢) أورد هذا الأثر ابن ماجة في الفتن برقم (٤٠٣٩).
(٣) المستدرك، ح (٨٣٦٤)، (٤/ ٤٨٨).
(٤) النهاية في الفتن لابن كثير، ص (٤٠).

قلوبهم حتىٰ تتم له شوكة وعصبية، وجملة الأحاديث الواردة في ظهوره لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه »[١].

• هذه الأحاديث التي لم تسلم في نظر ابن خلدون، قد سَلِمت عند غيره من أهل الدراية والرواية في علم الحديث، وابن خلدون من المؤرِّخين، وهو قليل البضاعة في علم الحديث، فهو ليس بمحدِّث، وليس قوله في الحديث حجَّة كأصحاب هذا الشأن من علماء الحديث، كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والحاكم والهيثمي وابن حجر العسقلاني وابن حبان وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والقرطبي والسيوطي والسخاوي وأحمد شاكر، وغيرهم من أساطين علم الحديث، وكلهم مُثبِتون لظاهرة خروج المهدي، ولم أجد أحدًا من علماء الحديث الذين يُعتَدُّ بهم مَن أنكر خروجه.

يقول الشيخ عبد المحسن العباد في معرض ردِّه علىٰ ابن خلدون: «إنه لو حصل التردُّد في أمر المهدي مِن رجل له خبرة بالحديث لاعتبر ذلك زَللًا منه، فكيف إذا كان من الإخباريين الذين هم ليسوا من أهل الاختصاص»[٢].

• **محمد رشيد رضا:** فهو يَرىٰ التعارض في أحاديث المهدي، وأن البخاري ومسلم لم يوردا شيئًا في ذلك في صحيحيهما، وأن لكعب الأحبار جولة واسعة في تلفيق تلك الأخبار[٣].

---

(١) المقدمة، لابن خلدون، ص (٣٢٢).
(٢) عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، بعد المحسن العباد، ص (٥٦).
(٣) تفسير المنار: محمد رشيد رضا (٩/ ١٠٥، ٩٩٤).

ومحمد رشيد رضا كسابقه ليس له دراية في علم الحديث، كما أنه من المتأثِّرين بالاستشراق، ومن أرباب المدرسة العقلانية، وللردِّ عليه نقول:

إن أهل الاختصاص في علم الحديث الذين يُشهَد لهم لم يَرَوْا في هذا التعارض ما يجعل الظاهرة مختلَقة، بل اعتبروه تعارضًا ظاهريًّا أمكن الجمع بين رواياته والترجيح بينها.

واعتباره أن أحاديث المهدي من تلفيقات كعب الأحبار فليس له في ذلك مستند علمي ولا دليل شرعي، والعبرة في الشرع ليس بالدعاوىٰ وإنما بأدلتها، والدراسة والتمحيص يكذِّبان هذه الدعوَىٰ، فليس هناك رواية واحدة لكعب الأحبار، ولا رُوِيَت عن طريقه، والله أعلم.

كما أن اتِّهام كعب الأحبار بالتلفيق ليس له مستند علمي؛ لأن كعبًا ثقة في دينه وعدالته، وقد روىٰ عنه ابن عباس وأبو هريرة علىٰ جلالة قدرهما، فكيف يأخذان علمهما من ملفِّق أو كذَّاب؟!.

ولقد روىٰ أصحاب الصحاح والسنَّة لكعب؛ فقد روىٰ له الأئمة مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود، وهذا دليل علىٰ كونه ثقة عند هؤلاء جميعًا.

وذكره لعدم إخراج الشيخين (البخاري ومسلم) لأحاديث المهدي ليس فيه أية استدلال لأن الشيخين لم يُحيطا بجميع الأحاديث الصحيحة ولم يدَّعيا ذلك، فهناك الكثير من الأحاديث الصحيحة موجودة في غير الصحيحين، كما أن هناك قرائن عند مسلم في صحيحه فسَّرها كثير من العلماء بأن المراد بها المهدي.

• **ومن الشبهات لمنكري المهدي أيضًا:**

أن عقيدة المهدي دخيلة على الإسلام، ومُستوحاة من عقيدة المخلِّص في الديانات الأخرىٰ، وصاحب هذه الشبهة هو: سعد محمد حسن في كتابه «المهدية في الإسلام».

ويَذكر أن الشيعة هم الذين حاكوها علىٰ يد ابن السوداء اليهودي الغالي في تشيُّعه، وكذلك ينكر هذا المدعي عودة المسيح عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وهذا الرجل يطعن في أحاديث نزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في نهاية عهد الدَّجَّال وهي في الصحيحين، وهو بهذا ينكر ما ذكره القرآن الكريم في ذلك.

وهذا المدَّعِي لم يذكر لنا دليلًا واحدًا علىٰ بطلان عقيدة المهدي التي دخلت علىٰ المسلمين من فكرة المُخلِّص التي يُنكرها. وهذا خطأ فاحش يشهد لفحشه التاريخ والنصوص الثابتة.

• فبنو إسرائيل كانوا يؤمنون بخروج مخلِّص يخلِّصهم من بطش فرعون، وجاء القرآن ليبين أن الله قد أرسل لهم موسىٰ ليخلِّصهم من فرعون وجنوده من باب المنة الإلهية؛ لذا فما المانع أن يأتي للأمَّة في كل عهد من يجدِّد لها دينها، ويخلِّصها من البدع، ويحيي فيها السنن التي ماتت؟! وكذلك قصة طالوت وغيرها.

• بل إن رسالة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما جاءت لتخليص البشرية وتحريرهم من عبادة العباد إلىٰ عبادة ربِّ العباد، وكذلك إمداد الأمَّة بورثة الأنبياء من العلماء والمجدِّدين يأتي لنفس الغرض، وخروج المهدي ونزول عيسىٰ في آخر الزمان يعتبران من مقتضيات رحمة الله سبحانه وتعالىٰ بهذه الأمَّة، فهذا الكاتب

وأمثاله من متتبِّعي آثار المستشرقين، ومن حاملي مِعْوَلِهم في الطَّعن في السُّنَّة والمسلَّمات تحت ستار الموضوعية، وقد ذكر كلامه كل من المستشرق اليهودي المجري «جولد تسيهر» والمستشرق «دونلس»(١).

• **فكرة المهدي رمز لانتصار الحق:** وصاحب هذه الشبهة هو «محمد أبو عبية» حيث يقول: « إن ما جاء من الأحاديث في شأن المهدي ونزول عيسىٰ ابن مريم والدَّجَّال إنما هو رمز لانتصار الحق ».

يعني هذا الرجل المتفلسِف أن كل صاحب حق هو المهدي، وكل طاغوت من أهل الباطل هو الدَّجَّال، فأخرج النصوص من حقيقتها إلىٰ باب الرمزية، وهذا التأويل الفاسد أشدُّ قبحًا من تأويل الفرق الباطنية، ولو فتح هذا الباب لكانت قصص الأنبياء ليست علىٰ حقيقتها، بل هي قصص رمزية تحكي صراع الحقِّ والباطل، وهكذا القبر والجنة والنار، وهَلُمَّ جرًّا.

فهذه الشبهة تصنَّف ضمن التأويل العشوائي الذي لا يستند إلىٰ أي برهان؛ لذا فهي أقرب للشَّطَحات منها إلىٰ التأويل.

ثانيًا: المثبتون لظاهرة المهدي:

ذكرنا أن إنكار ظاهرة المهدي تعتبر ضيِّقة جدًا، وأهلها ليسوا من أهل الاختصاص، ومَنْ تتبَّع كتب الحديث يجد أن أكثرها قد خرَّج للمهدي بعض الأحاديث، أو أفرد له بابًا خاصًا في كتابه، منهم أصحاب السنة الأربعة [أبو داود والترمذي وابن ماجة والنسائي]، وكذلك الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في

---

(١) انظر: المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الضعيفة، عبدالعليم البستوي، ص (٣٨- ٣٩).

مستدركه، وابن أبي شيبة في مصنفه، ونعيم بن حماد في كتاب الفتن، والدارقطني في الإفراد، والطبراني في معاجمه الثلاثة، وأبو يعلَىٰ في مسنده، والبزَّار في مسنده، وابن عساكر في تاريخه، وأبو عمرو الداني في السنة الواردة في الفتن، وابن جرير، والبيهقي في دلائل النبوة، وابن سعد في طبقاته، وأبو عوانة في مسنده، وابن خزيمة في صحيحه، وعبد الرزَّاق في مصنفه.

• وممن اعتبر أحاديث المهدي أو رمز إلىٰ صحتها أو حقَّقها أو صرح بثبوتها أو أفرد لها تصانيف وأبوابًا: (الهيثمي في مجمع الزوائد، والسيوطي في الجامع الصغير، وابن حجر العسقلاني والشوكاني وابن تيمية وابن كثير والقرطبي والبيهقي والقاضي عياض والمنذري والبوصيري وابن القيم والسخاوي والذهبي وابن المنادي والزرقاني والمزي والبرزنجي وابن حبان وابن الأثير والسندي والمناوي وأحمد شاكر والألباني وابن باز والأمين الشنقيطي) وغيرهم.

• فهذا الجمع الكبير من علماء السُّنَّة وعلماء الحديث والفقه والتفسير يُشيرُ إشارة واضحة إلىٰ إثبات ظاهرة المهدي، ولا يرونها دخيلة كما يزعم البعض، وإليك بعضًا من أقوالهم:

١ـ يقول أبو الحسين الآبِري في كتابه مناقب الشافعي، ونقله القرطبي في التذكرة (ص: ١٧): «قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا».

٢ـ يقول العلامة السفاريني: «وقد كثرت بخروجه - المهدي- الروايات حتىٰ بلغت حدَّ التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء أهل السنة حتىٰ عُدَّ من

معتقداتهم»[١].

٣ـ ويقول الإمام الشوكاني: «والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شكٍّ ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحرَّرة في الأصول»[٢].

٤ـ ويقول صديق حسن القنوجي: «والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدًّا تبلغ حدَّ التواتر»[٣].

٥ـ وهكذا يقول محمد بن رسول البرزنجي، وزاد على العبارة السابقة «... بلغت حدَّ التواتر ولا معنى لإنكارها»[٤].

فظاهرة خروج المَهدي من مُسلَّمات العقيدة، دلَّ على ذلك الأحاديث والآثار المتعدِّدة، وأقرَّها جمع غفير من علماء وفقهاء ومُحَدِّثي الأمَّة على مَدَى العصور.

***

ثالثًا: نسَب المهدي واسمه:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ** }[٥].

---

(١) لوامع الأنوار الإلهية، للسفاريني.
(٢) التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدَّجَّال والمسيح، للشوكاني.
(٣) الإذاعة لما كان وما يكون من أشراط الساعة، للقنوجي، ص (١١٢).
(٤) الإشاعة لأشراط الساعة، للبرزنجي، ص (١٩٨).
(٥) أخرجه أبو داود: كتاب المهدي، ح (٤٢٨٤)، وابن ماجة: ك: الفتن، ب: خروج الدجال، ح (٤٠٨٦)، وصحَّحه الألباني.

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ** }(١).

العِتْرَة: ولد الرجل لصلبه، وقد يكون العِتْرَةُ الأقرباء وبني العمومة، وعِتْرَةُ الرجل: أخصُّ أقاربه، وعِترَةُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنو عبد المطلب، أو هم الذين حُرِّم عليهم أخذ الزكاة والصدقات من أهل البيت(٢).

فالمهدي من ولد فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي بعض الآثار أنه من ولد الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ذكر بعض العلماء أن الحسن ترك الخلافة لأجل الله سبحانه وتعالى، ولأجل حَقْن دماء المسلمين، فأعقبه الله من ذريته مَن يقوم بخلافة العدل في آخر الزمان، وهذه سنة الله في عباده أنه من ترك شيئًا لله عوَّضه الله سبحانه وتعالى خيرًا منه، وهذا بخلاف الحُسَين الذي حرص على الخلافة، وقاتل عليها ولم يَظفَر بها (٣).

• وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ** } يُراد به تهيئة المهدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقيام بأعباء قيادة الأمَّة والإمامة العظمى؛ فالإصلاح هنا يُراد به التركيز والترقية في الصفات والتهيئة لقيادة الأمَّة؛ وذلك بتبصيره بمواطن الخلل في الأمَّة وطرق العلاج والمنهج الحكيم للخروج من الفتن التي عصفت بها، ووسائل تجديد الإيمان فيها، والقدرة على تأليف القلوب، والاستبصار بمعالم الرسالة كاملة لكي يعزِّزها في أتباعه.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٦٤٥)، وقال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح، وابن ماجة: ك: الفتن، ب: خروج الدجال، (٤٠٨٥)، ، وحسنه الألباني.

(٢) عون المعبود، للعظيم أبادي (١١/ ٣٧٣).

(٣) عقيدة أهل السنة، للعباد، عزا هذا القول لابن القيم في المنار المنيف.

• عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: **{ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي، أو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا }**(١).

فاسمه: محمد بن عبد الله، والمواطأة يراد بها المشابهة.

• صفات المهدي الخَلقية:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجُبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ }**(٢).

• **وأَجْلَى الْجُبْهَةِ**: الجبهة الجلواء أي الواسعة، وأجلى الجبهة: أي خفيف شعر ما بين الترعتين من الصدغين، أو الذي انحسر شعره عن جبهته (دون الصلع)، **وأَقْنَى الْأَنْفِ**: يُراد به طول الأنف مع دقَّة طَرَفِه، وحدَب في وسطه.

وهو قريب من الشَّبَهِ في الأوصاف بالنبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في كونه أفرق الثنايا، ومربوع الجسم، وأبلج أعين، وأكحل العينين.

• رابعًا: الإرهاصات الممهدة لخروج المهدي:

١ـ انتشار الظلم: فالأحاديث وردت بأنه يملأ الأرض عدلًا كما مُلِئَت جورًا وظلمًا؛ يعني غالبية الأرض.

---

(١) أخرجه أبو داود في المهدي، ح (٤٢٨٢)، والترمذي في الفتن، ح (٢٣٣٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب المهدي، ح (٤٢٨٥)، وحسَّنه الألباني لشواهده.

• وفي الأثر عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « إِذَا انْقَطَعَتِ التِّجَارَاتُ وَالطُّرُقُ، وَكَثُرَتِ الْفِتَنُ، خَرَجَ سَبْعَةُ رِجَالٍ عُلَمَاءُ مِنْ أُفُقٍ شَتَّى، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، يُبَايِعُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، حَتَّى يَجْتَمِعُوا بِمَكَّةَ، فَيَلْتَقِي السَّبْعَةُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا فِي طَلَبِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَهْدَأَ عَلَى يَدَيْهِ هَذِهِ الْفِتَنُ »(١).

وهذا الأثر فيه إشارة إلى أن بعض أهل العلم يَهديهم الله سبحانه وتعالى إلى وقت خروج المهدي، ويتحرَّكون لهذا الأمر العظيم الذي فيه إنقاذ الأمَّة.

• ووقت خروج المهدي تكون التضحيات في أعلى درجاتها من الطائفة المنصورة، ويكون خروج المهدي بمثابة الهدية والجزاء لهؤلاء الذين يستحقُّون وعد الله سبحانه وتعالى بالاستخلاف في الأرض.

• إذن فخروج المهدي ليس ذريعة للمتواكلين المثبِّطين للكسالى، وليس عذرًا لأهل الحقِّ الذين ينتظرون خروجه، فهذه شبهة الشياطين لهم للقعود مع المنافقين.

٢ـ فتنة الدُّهَيْماء: وقد سبق الحديث عنها، وورد عَنْ عَلِيِّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «سَتكُونُ فِتْنَةٌ يُحَصَّلُ النَّاسُ مِنْهَا كَمَا يُحَصَّلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ، فَلَا تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّامِ، وَسُبُّوا ظَلَمَتَهُمْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْأَبْدَالَ، وَسَيُرْسِلُ اللهُ إِلَيْهِمْ سَيْبًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُغْرِقُهُمْ حَتَّى لَوْ قَاتَلَتْهُمُ الثَّعَالِبُ غَلَبَتْهُمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ عِنْدَ ذَلِكَ رَجُلًا مِنْ عِتْرَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا إِنْ قَلُّوا، وَخَمْسَةَ عَشَرَ

(١) أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن، برقم (١٠٠٠).

أَلْفًا إِنْ كَثُرُوا، أَمَارَتُهُمْ أَوْ عَلَامَتُهُمْ أَمِتْ أَمِتْ عَلَىٰ ثَلَاثِ رَايَاتٍ يُقَاتِلُهُمْ أَهْلُ سَبْعِ رَايَاتٍ لَيْسَ مِنْ صَاحِبِ رَايَةٍ إِلَّا وَهُوَ يَطْمَعُ بِالْمُلْكِ، فَيَقْتَتِلُونَ وَيُهْزَمُونَ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْهَاشِمِيُّ فَيَرُدُّ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ إِلْفَتَهُمْ وَنِعْمَتَهُمْ، فَيَكُونُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ الدَّجَّالُ »(١).

• وفتنة الدُّهَيْماءِ أو العمياء إرهاص من الإرهاصات الدالة علىٰ قرب خروج المهدي، وهي فتنة عامة مُمَحِّصة تميِّز بين المؤمن والمنافق، وهي مُمَهِّدة لفتنة الدَّجَّال وأقل منها في الدرجة، ولعل هذا يُفسِّر لنا سبب امتلاء الأرض ظلمًا وجورًا.

٣ـ قتل النفس الزكية: ورد في الأثر عن مُجَاهِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي فُلَانٌ، رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ الْمَهْدِيَّ لَا يَخْرُجُ حَتَّىٰ تُقْتَلَ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ؛ فَإِذَا قُتِلَتِ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ غَضِبَ عَلَيْهِمْ مَنْ فِي السَّماءِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ فَأَتَىٰ النَّاسَ الْمَهْدِيَّ فَزَفُّوهُ كَمَا تُزَفُّ الْعَرُوسُ إِلَىٰ زَوْجِهَا لَيْلَةَ عُرْسِهَا وَهُوَ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَتُمْطِرُ السَّماءُ مَطَرَهَا وَتَنْعَمُ أُمَّتِي فِي وِلَايَتِهِ نِعْمَةً لَمْ تَنْعَمْهَا قَطُّ »(٢).

• هذا الحديث يدل علىٰ أن الرجل الصالح الذي يُقتَل له ذمَّة عظيمة عند الله سبحانه وتعالىٰ، فيَغضب الله سبحانه لموته، ويَغضب لغضبه أهلُ السماء والأرض، وهذا الرجل أشبه بقصة صاحب سورة يس، حيث نزل العذاب كرامة له ونكاية بقاتليه، وذلك بعد قتله مباشرة.

---

(١) أخرجه الحاكم: ك: الفتن والملاحم، ح (٨٦٥٨) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، ووافقه الذهبي [المستدرك ٤/ ٥٩٦].

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، ح (٣٧٦٥٣) (المصنف ٧/ ٥١٤).

• وهذا الأثر يُشيرُ إلى وقوع عقوبات ربَّانية تصيب الذين قتلوا أو تآمروا على أولياء الله في الأرض.

٤ـ وقوع أحداث طبيعية وكونية عظيمة: وقد سبق الحديث عنها في مواضع كثيرة؛ مثل حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: { **مَا تَذَاكَرُونَ؟** }. قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: { **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** }[(١)].

• عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا** }[(٢)].

٥ـ الطائفة المنصورة وجهودها:

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ** }[(٣)].

وفي رواية عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قالَ « سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم، ح (٢٩٠١).
(٢) أخرجه أحمد، ح (١١٣٢٦)، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٧/ ٣١٤).
(٣) أخرجه مسلم: ك: الإمارة، ح (١٩٢٠).

يَقُولُ: { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ }»(١).

• وقد ورد معنى { أَمْرُ الله } بأنه الريح التي تقبض أرواح المؤمنين بين يدي الساعة، وقيل: المراد بأمر الله خروج المهدي، أو نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي رواية: { حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ }(٢).

وفي رواية: { ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله، وَيَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ }(٣).

ويسبق خروج المهدي ممهِّدون له من علماء ومجتهدين وغيرهم، وهم الطائفة المنصورة التي تتضافر جهودها في آخر الزمان لتجتمع تحت قيادة المهدي من جميع أصقاع الأرض، وكلما ارتقت جهود هذه الطائفة واتضحت فيها معالم رسالة الإسلام كلما كان ذلك إيذانًا بقرب خروجه.

٦ـ حَسر الفرات عن جبل من ذهب:

وقد سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك.

***

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإمارة، ح (١٠٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الجهاد، ب: في دوام الجهاد، ح (٢٤٨٤)، والحاكم، ح (٢٣٩٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصحَّحه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد، ح (١٩٨٥١).

خامسًا: بيعة المهدي والخسف الذي يتبعها:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: عَبَثَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: { **الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ** }، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: { **نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ** }[1].

الْمُسْتَبْصِرُ: هو المُستبين لذلك الأمر - أي غزو الكعبة بمن فيها- القاصد له عمدًا، **وَالْمَجْبُورُ**: المكرَه على المسير مع الجيش، **وَابْنُ السَّبِيلِ**: أي سالك الطريق الذي يقدِّر الله سبحانه وتعالى اجتماعه مع الجيش ساعة الخسف بالرغم أنه ليس من الجيش.

• وفي رواية: {... **يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ** }[2]، وفي رواية: { **سَيَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ - يَعْنِي الْكَعْبَةَ - قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ، وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ** }[3].

• عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « بَيْنَمَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي إِذْ احْتَفَزَ جَالِسًا وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا شَأْنُكَ يَا رَسُولَ الله

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، ب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، ح (٢٨٨٤).
(٢) المصدر السابق، ح (٢٨٨٣)، رقم (٦).
(٣) المصدر السابق، ح (٢٨٨٣)، رقم (٧).

تَسْتَرْجِعُ؟ قَالَ: { جَيْشٌ مِنْ أُمَّتِي يَجِيئُونَ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، يَؤُمُّونَ الْبَيْتَ لِرَجُلٍ يَمْنَعُهُ اللهُ مِنْهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، خُسِفَ بِهِمْ، وَمَصَادِرُهُمْ شَتَّى } فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُخْسَفُ بِهِمْ جَمِيعًا، وَمَصَادِرُهُمْ شَتَّى؟ فَقَالَ: {إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ جُبِرَ، إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ جُبِرَ } ثَلَاثًا (١).

• وَعَنْها أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ، وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا، فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فِي الْأَرْضِ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ }(٢).

• يتضح من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن بداية التحرُّك لبيعة المهدي تكون بعد موت خليفة، مُلك يقوم على التوارث واستخلاف الملوك لبعضهم البعض، وليس المراد خليفة المسلمين جميعًا حيث جاءت اللحظة غير معرفة (نكرة).

• ويتضح كذلك أن التحرُّك الذي يحصل في مكة يتبعه تحرك جيش من الشام

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٦٢٢٧)، والحديث له شواهد في الصحيح.

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٦٦٨٩)، وأبو داود: ك: المهدي، ح (٤٢٨٦)، والحاكم في الفتن، ح (٨٣٢٨)، وضعَّفه الألباني.

للنيل به، مما يُشيرُ إلىٰ أن هناك ولاية للشام علىٰ الجزيرة العربية.

• وكذلك إشارة إلىٰ أن الناس يقعون في تهارج واختلاف شديد بعد موت ذلك الخليفة، ويصل إلىٰ المدينة النبوية؛ فيهرب منها المهدي، مما يدل علىٰ حرصه علىٰ اجتناب الفتن وأنه ليس من كلاب الملك، ولا ممن يَسْعَون له.

• وبداية خروج المهدي ومعرفته يكون عند بيعته بين الركن والمقام، بدون إعداد مُسبَق، والذين يُبايِعونه أصحاب رسالة، وليسوا أصحاب أغراض سياسية أو مآرب شخصية؛ لذا يحرصون علىٰ عدم استحلال البيت أو جعله ساحة للقتال؛ لذلك يعاقِب ربُّ البيت المعتدين علىٰ بيته بخسف الأرض من تحتهم.

• وسيكون لهذه البيعة ضَجيجٌ حتىٰ يحرَّك لأجلها جيش من الشام أكثره من المستبصرين، وهم عِلِّيَةُ القوم ممن يحادُّون الله ورسوله، ويجتهدون لتبكيت أهل الله في الأرض أينما كانوا.

• ويعتبر هذا الخسف هو العلامة الأقوىٰ في الدلالة علىٰ أن العائذين بالبيت هم المهدي وأنصاره، ثم يَتحرَّك أهلُ الله من الشام والعراق نحو مكة لبيعة المهدي، وكذلك من جهة الشرق، وكل أرجاء العالم الإسلامي؛ تمهيدًا لعودة الخلافة الراشدة وعالمية الإسلام من جديد.

• وأول الملاحم التي يخوضها المهدي وأنصاره مع رجل قرشي أخواله من قبيلة كلب، ويترتب عليها بعد انتصار المهدي في هذه المعركة العظيمة والمفصلية غنائم كثيرة تنالها الطائفة المنصورة، ثم يُمَكِّن الله تعالىٰ للإسلام في الأرض **{ وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فِي الْأَرْضِ }** حتىٰ يعمَّ الإسلام الأرض.

سادسًا: الملاحم بين المهدي وبين الروم:

في حديث عَوْفِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والذي سبق ذكره، { **اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: ... ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا** }، الحديث.

• في هذا الحديث ربط بين الملاحم في عهد الخلفاء الراشدين، وما وراء ذلك من استفاضة المال، وبين ملاحم آخر الزمان، والهدنة وغدر الروم، وهذا من روائع الكلم وبدائع الأسرار في الهدي النبوي.

• إشارته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن جيش الروم تحت ثمانين غاية؛ أي بدل كلمة راية؛ ليدل على أن لكل دولة مشاركة في هذا التحالف لها غاية وهدف خاصة، وهذا يشبه التحالف الذي حدث في أثناء غزو العراق.

• ومعقل المسلمين في هذه الملاحم دمشق أو الغوطة إلى جانب دمشق، كما ورد في حديث صدقة بن خالد عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: { **سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمُ الشَّامُ، فَإِذَا خُيِّرْتُمُ الْمَنَازِلَ فِيهَا، فَعَلَيْكُمْ بِمَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، فَإِنَّهَا مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَلَاحِمِ، وَفُسْطَاطُهَا مِنْهَا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ** }[١].

ومن المعلوم أن عاصمة المهدي ـ عند هجمة الدَّجَّال ـ تكون بيت المقدس بعد تحريرها من العدو الجاثم عليها.

• عَنْ ذِي مِخْبَرٍ، رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا**

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٧٤٧٠)، وقال العدوي: صحيح (الصحيح المسند ٣٤٠).

مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ }(١).

• [وقد اجتهد المؤلف في أن التحالف الإسلامي الرومي سيكون ضد اليهود حيث يكون محيط الملاحم قريبًا من حمص في الأعماق أو دابق، والأرض ذات تلول مليئة بالزرع وحولها تلال مثل سهل مجدو وسهل البقاع وغيرها من سهول الشام، وقد ذكر بعض المعاصرين أن العدو المشترك قد يكون الصين أو روسيا أو إيران؛ ولكن هؤلاء قد تأثَّروا بفكرة الهرمجدون متأثِّرين بالفكر التوراتي، والواقع المعاصر يظهر فيه كيف يتحوَّل صديق الأمس إلى عدو لاختلاف المصالح، وقد يتحوَّل وجود هذه الدولة اليهودية عبئًا على الروم في أوربا وتهديدًا لمصالحها في المنطقة، والمتتبِّع للدراسات السياسية حاليًا يجد أن إسرائيل أصبحت عبئًا على أوروبا، بعدما بدأت تستولي على مناطق تمثل نفوذًا لإنجلترا وفرنسا، وهذا بداية تعارض المصالح بين أوربا وإسرائيل].

• وتشير الملحمة عندما يُرفع الصليب، ويقول النصراني غلَب الصليب إلى أن طابع هذه الملحمة دينيٌّ، وفي هذا إشارة قوية لاستقلالية قرار جيش المسلمين، وتأثيره في العالم، لهذا يتحرَّك هذا الحشد في ثمانين غاية لحصد هذا الجيش في مهده.

***

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الملاحم، ب: ما يذكر من ملاحم الروم، ح (٤٢٩٢)، وابن ماجة: ك: الفتن، ح (٤٠٨٩) وإسناده حسن، قال العدوي: صحيح (الصحيح المسند ٢٣٩).

سابعًا: مدة بقاء المهدي، وطبيعة عهده:

ورد في الأثر(١) عن التابعي الجليل السميط بن عمير السدوسي البصري أن المهدي يكون عمره حين البيعة واحدًا وخمسين، أو اثنين وخمسين عامًا، وقيل في آثار ضعيفة أن عمره أربعون عامًا عند بيعته.

• ومدة بقائه سبع سنين على الراجح، وقيل ثمان سنين أو تسع؛ أي مدة بقاء مُلْكِ المهدي بعد الملاحم، وورد أن بقاء المهدي أربعون سنة، وكلها آثار مختلف فيها، ويمكن الجمع بينها أن مدة المهدي أكثر من تسع سنوات، لكن المدة التي يستقر فيها ملكه ويعم الرخاء والعدل فيها هي من سَبْعٍ إلى تسعِ سنوات.

• **طبيعة مرحلة حكم المهدي:**

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[الحديد: ٢٥]، فما من كتاب أُنزِل وما من رسول أُرسِل إلا ليقوم الناس بالقسط؛ أي لأجل إحقاق العدل في الأرض، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بتحكيم كامل لشرع الله سبحانه وتعالى.

• ومن أهم إنجازات المهدي كما صرَّحت به الأحاديث: أنه يملأ الأرض عدلًا، وهذا المقصد الأول لبعثة الرسل وإنزال الكتب، وهو يقوم على عبادة الله وحده وعدم الإشراك به، والتوبة والاستغفار والرجوع إلى الحق.

• عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ**

(١) أخرجه أبو عمرو الداني في سننه برقم (٥٨٥) بإسناد صحيح.

صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا }(١).

• وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا }. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صِحَاحًا؟ قَالَ: { بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ }. قَالَ: { وَيَمْلَأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِنًى، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ، حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ؟ فَمَا يَقُومُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ فَيَقُولُ أنا، فيقول: ائْتِ السَّدَّانَ - يَعْنِي الْخَازِنَ - فَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالًا، فَيَقُولُ لَهُ: احْثِ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمَ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْسًا، أَوَعَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ؟ قَالَ: فَيَرُدُّهُ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّا لَا نَأْخُذُ شَيْئًا أَعْطَيْنَاهُ، فَيَكُونُ كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ - أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ - ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ }(٢).

• لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ: لأن النقص بعد ذلك سيعتري حياة المسلمين تدريجيًّا إلى أن ينتهي بالريح التي تقبض الأرواح المؤمنة، ولا يبقى إلا شرار الخلق.

• مدة بقاء المهدي هي نفس مدة بقاء نبيِّ الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• إن انتشار الفساد في البرِّ والبحر هو نتيجة حتمية لمعاصي البشر، والإيمان والتقوى سبب مباشر لنيل بركات السماء والأرض، وانتشار العدل سبب لعموم الرخاء؛ لذا ازدانت الأرض وتزيَّنت، وأخرجت أطيب بركاتها في عهد العدل

---

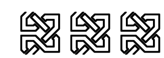
(١) أخرجه الحاكم في الفتن، ح (٨٦٧٣)، وقال عنه: صحيح الإسناد، وصحَّحه الألباني.
(٢) أخرجه أحمد في باقي مسند المكثرين، ح (١١٣٣٢)، ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٧/ ٣١٤).

والقسط والاحتكام لدين الله في الأرض.

• ومن السُّنَنِ أن الأجر على قدر المشقَّة، فعلى قدر التضحيات تكون البركات، فبعد الملاحم الكبرى والعطاءات المترادفة والتضحيات المتتابعة من أهل الحق، يعجِّل الله تعالى لهم بعض البُشَرى بأن ينالوا جُزْءًا من بركات تضحياتهم في حياتهم الدنيا، (فالغُرْم بالغُنْمِ)، وكذلك (الغُنْمُ بالغُرْمِ).

والدنيا لا تضيق على المؤمن إلا من باب الحمية رحمة به من ربه جلَّ وعلا، ومن باب التمحيص للإيمان، ومن باب (ما ضاقَ شيءٌ إلا واتَّسَعَ).

خرج أهل الإيمان من فتنة الملاحم وفتنة الدَّجَّال بأعلى درجات الصبر واليقين، فلا ضيرَ في التوسعة عليهم من باب البشرى التي لا يَشوبها افتتان.



الفصل الخامس

(الدَّجَّال)

أولا: ابْن صَيَّادٍ وقصة تميم:

عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الحُلُمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: **{تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ }**، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْن صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْن صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَرَفَضَهُ، وَقَالَ: **{ آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ }**، فَقَالَ لَهُ: **{ مَاذَا تَرَى؟ }** قَالَ ابْن صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ خُلِّطَ عَلَيْكَ الأَمْرُ }**، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا }**، فَقَالَ ابْن صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ: **{ اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ }**، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ }**، وَقَالَ سَالِمٌ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ إِلَى النَّخْلِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ، وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْن صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْن صَيَّادٍ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ - يَعْنِي فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْزَةٌ أَوْ زَمْرَةٌ - فَرَأَتْ أُمُّ ابْن صَيَّادٍ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ، فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: يَا صَافِ - وَهُوَ اسْمُ ابْن صَيَّادٍ - هَذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَثَارَ ابْن

صَيَّادٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ** }(١).

وفي رواية: ثم قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ: { **إِنِّي قَدْ خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيئَةً** }، وَخَبَأَ لَهُ: ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ** ﴿١٠﴾ ﴾ [الدخان] }، قَالَ ابْن صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ (٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ صَائِدٍ: { **مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ؟** } قَالَ: دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: { **صَدَقْتَ** }(٣).

- فتنة الدَّجَّال هي أعظم فتنة على وجه الأرض.
- **هل ابْن صَيَّادٍ هو الدَّجَّال الأكبر بعينه أم هو دجَّال من الدَّجَّالين؟**

والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقطع بأنه الدَّجَّال أو غيره، وقصة تميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التي سيأتي ذكرها هي قرينة تُشيرُ إلى أن الدَّجَّال الأكبر ليس هو ابْن صَيَّادٍ؛ وإنما هو دجَّال من الدَّجَّالين، له علاقة شيطانية خاصَّة من جنس الأحوال التي يقع فيها السَّحَرة والكُهَّان، ومن هذه الأحوال ما كان يقع للأسود العنسيِّ الذي ادَّعَى النبوة، فقد كانت تأتيه الشياطين تخبره ببعض الأمور المغيَّبة وليست الغَيبيَة، ومنهم الحارث الدمشقي الذي خرج في زمن عبد الملك بن مروان وادَّعَى النبوة، وكانت الشياطين تمنع السلاح أن ينفذ فيه، ومنهم من كانت تطير به الجن في الهواء وتنقله إلى أماكن بعيدة...... إلخ.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجنائز، ب: إذا أسلم الصبي فمات هل يُصَلَّى عليه، ح (١٣٥٤، ١٣٥٥)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر ابْن صَيَّادٍ، ح (٢٩٣٠).
(٢) أخرجه أبو داود: ك: الملاحم، ب: في خبر ابن صائد، ح (٤٣٢٩)، وصحَّحه الألباني.
(٣) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر ابْن صَيَّادٍ، ح (٢٩٢٨).

• ولعل الذي يميِّز هذه الأحوال الشيطانية عن كرامات الصالحين، أن أحوالهم الشيطانية في الغالب تقترِن بالكفر والمعاصي والمنكرات؛ مما يدل على أنهم من أولياء الشيطان، ووقوعها من باب الاستدراج لأصحاب النفوس الضعيفة.

• عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا، أَوْ عُمَّارًا، وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ، فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَحْشَةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَرُفِعَتْ لَنَا غَنَمٌ، فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ، فَقَالَ: اشْرَبْ، أَبَا سَعِيدٍ فَقُلْتُ إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ، مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ - أَوْ قَالَ آخُذَ عَنْ يَدِهِ - فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبْلًا فَأُعَلِّقَهُ بِشَجَرَةٍ، ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِي النَّاسُ، يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{هُوَ كَافِرٌ}** وَأَنَا مُسْلِمٌ، أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{هُوَ عَقِيمٌ لَا يُولَدُ لَهُ}**، وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ}** وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ؟ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا، وَالله إِنِّي لَأَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ مَوْلِدَهُ وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبًّا لَكَ، سَائِرَ الْيَوْمِ » (١).

هذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن ابْن صَيَّادٍ هو أحد الدَّجَّالين، وله

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر ابْن صَيَّادٍ، ح (٢٩٢٧).

أحوال شيطانية.

• وفي رواية: قال أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: « وَقِيلَ لَهُ: أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ ذَاكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَوْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ » (١).

وفي هذا إشارة إلى أن ابْن صَيَّادٍ كان مُعجَبًا بشخصية الدَّجَّال، وهذا يوضِّح لنا سبب نفور مَن حوله منه، وكذلك يحتمل سياق هذا الحديث وسابقه أن يكون ابن صائدٍ نفسَه هو الدَّجَّال، وقد استخدم أسلوب التلميح دون التصريح في الدلالة على ذلك.

• وعَنْ نَافِعٍ، قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ، فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ مَا أَرَدْتَ مِنِ ابْنِ صَائِدٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا؟** }(٢).

• فابنُ عمرَ وحفصةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كانا يريان أن ابْن صَيَّادٍ هو الدَّجَّال.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَحْلِفُ بِاللهِ أَنَّ ابْنَ صَائِدٍ الدَّجَّال، فَقُلْتُ: **أَتَحْلِفُ بِاللهِ؟ قَالَ:** « إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (٣)، وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان معروفًا

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر ابْن صَيَّادٍ، ح (٢٩٢٧).

(٢) المصدر السابق، ح (٢٩٣٢).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: منْ رَأَى تَرْكَ النَّكِيرِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّةً، لاَ مِنْ غَيْرِ الرَّسُولِ ، ح (٧٣٥٥)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر ابن صياد، ح (٢٩٢٩).

بورعه وتثبُّته من الحق، وهو مُلهَم هذه الأمَّة، ومن أقرب الناس للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعلمهم بمقتضيات خطابه، فقد ترجَّحت عنده دلالات عدَّة استنبطها من حديث النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ابْن صَيَّادٍ هو الدَّجَّال، وهو الذي وضع الله تعالىٰ الحقَّ علىٰ لسانه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• بل العجب أن جابرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يُقسِم علىٰ ما أقسم عليه عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أحد رواة حديث تميم الداري (سيأتي ذكره بعد قليل إن شاء الله)، وفيه «... قال أَبو سَلَمَةَ: شَهِدَ جَابِرٌ أَنَّهُ هُوَ ابْن صَيَّادٍ، قُلْتُ: فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ، قَالَ: وَإِنْ مَاتَ، قُلْتُ: فَإِنَّهُ أَسْلَمَ، قَالَ: وَإِنْ أَسْلَمَ، قُلْتُ فَإِنَّهُ قَدْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، قَالَ: وَإِنْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ »(١).

[ومن الناس مَن تأوَّل قصة السامري مع كليم الله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقول موسىٰ له: ﴿ **فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ** ﴾، وقالوا عنه إنه الدَّجَّال، ولا نعلم دليلًا ثابتًا شرعيًّا من الكتاب والسُّنَّة يؤيِّد هذا القول. فهذا تأويل بلا دليل فلا يُعتَدُّ به].

***

(١) أخرجه أبو داود: ك: الملاحم، ب: في خبر الجسَّاسة، ح (٤٣٢٨) بسند حسن.

ثانيًا: قصة تميم الداري مع الجَسَّاسة:

عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: « سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: **{ لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ }**، ثُمَّ قَالَ: **{ أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ }**، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **{ إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا**

أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا }، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: { هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ } - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - { أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟ }، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، { فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ }، قَالَتْ:

فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ الله »(١).

• قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَأَقْرَبُ مَا يُجْمَعُ بِهِ بَيْنَ مَا تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ تَمِيم وَكَون ابنِ صَيَّادٍ هُوَ الدَّجَّالُ: أَنَّ الدَّجَّالَ بِعَيْنِهِ هُوَ الَّذِي شَاهده تَمِيم موثقًا، وَأَن ابنَ صَيَّادٍ شَيْطَانٌ تَبَدَّىٰ فِي صُورَةِ الدَّجَّالِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلَىٰ أَنْ تَوَجَّهَ إِلَىٰ أَصْبَهَانَ فَاسْتَتَرَ مَعَ قَرِينِهِ إِلَىٰ أَنْ تَجِيءَ الْمُدَّةُ الَّتِي قَدَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ خُرُوجَهُ فِيهَا، وَلِشِدَّةِ الْتِبَاسِ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ سَلَكَ الْبُخَارِيُّ مَسْلَكَ التَّرْجِيحِ، فَاقْتَصَرَ عَلَىٰ حَدِيثِ جَابِرٍ عَنْ عُمَرَ فِي ابنِ صَيَّادٍ، وَلَمْ يُخْرِجْ حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فِي قِصَّةِ تَمِيمٍ »(٢).

• فظاهرة الدَّجَّال شبيهة بالظاهرة الإبليسية، وهي مخالفة لعادات البشر ونواميسهم، وقدراته خاصة وخارجة عن قدرات البشر، وفتنته لا تقل عن فتنة الشيطان نفسه، وأسئلته عجيبة، ومساءلة الجسَّاسة أعجب، فكل هذا يُشيرُ إلىٰ أننا أمام ظاهرة بشرية أقرب إلىٰ الجن والشياطين.

• وقد نقل نعيمُ بْنُ حَمَّادٍ (٣) بِسَنَدِهِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُمَيْرٍ، وَيَزِيدَ بْنِ شُرَيْحٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، وَالْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، وَعَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ، وَكَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ قَالُوا جَمِيعًا: «لَيْسَ الدَّجَّالُ إِنْسَانًا إِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ فِي بَعْضِ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، مُوثَقٌ بِسَبْعِينَ حَلْقَةً، لَا يُعْلَمُ مَنْ أَوْثَقَهُ، أَسُلَيْمَانُ أَمْ غَيْرُهُ؟ ...».

قال ابن حجر بعد نقله لكلام نعيم بن حماد: « وَلَعَلَّ هَؤُلَاءِ مَعَ كَوْنِهِمْ ثِقَاتٍ

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: قصة الجسَّاسة، ح (٢٩٤٢).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٤٠).
(٣) الفتن، لنعيم بن حماد، برقم (١٥٢٥).

تَلَقَّوْا ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ »(١).

وظاهرةُ ابْنِ صَيَّادٍ والدَّجَّال تحتمل أمرَين:

- **الأول:** أنه حالة شيطانية قدَّرها الله سبحانه وتعالى في زمن النبوَّة ليستعلم عن خبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي أشبه بالحالة الدَّجَّاليَّة، بحيث اختفى إلى أن يأتي مناصِرًا للدَّجَّال.

- **الثاني:** أن رحلة الدَّجَّال الأكبر ابتدأت بميلاد ابْنِ صَيَّادٍ، وهذا الجانب البَشَرِيّ فيه، وكان ميلاده مع بداية الرسالة التي ستخرج في آخر الزمان ليُغوِيَها.

ويحتمل أن ملابَسة الدَّجَّال لابْنِ صَيَّادٍ كانت في أوقات مخصوصة ليكون قريبًا من نبيِّ الأمَّة التي سيخرج لإغوائِها وفتنتِها آخرَ الزمان.

أما دجَّال الجزيرة الذي رآه تميم فهو قد يكون حالة شيطانية صِرْفَة جاءت لتحكي حال الدَّجَّال وإرهاصات خروجه بشكل حِسِّيٍّ. وفي الحديث:{ **إِنَّهُ حَبَسَنِي حَدِيثٌ كَانَ يُحَدِّثُنِيهِ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ عَنْ رَجُلٍ كَانَ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ تَجُرُّ شَعْرَهَا، قَالَ: مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ، فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا رَجُلٌ يَجُرُّ شَعْرَهُ، مُسَلْسَلٌ فِي الْأَغْلَالِ، يَنْزُو فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الدَّجَّالُ، خَرَجَ نَبِيُّ الْأُمِّيِّينَ بَعْدُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَطَاعُوهُ أَمْ عَصَوْهُ؟ قُلْتُ: بَلْ أَطَاعُوهُ، قَالَ: ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ** }(٢). فهذه الصيغ

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٣٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الملاحم، ح (٤٣٢٥)، وصحَّحه الألباني بصحيح سنن أبي داود، ح (٤٣٢٦).

«رجل، إنسان..» لا تؤكد أنه الدَّجَّال، إنما تؤكد على موافقة الكلام فقط من بعض الوجوه.

• **ويمكن ربط ذلك بعدة أمور: ـ**

• وصف النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لميلاد الدَّجَّال، ووصف والدَيه (ابْن صَيَّادٍ)، فهو الميلاد الأَوَّل للدِّجَّال، وتوقُّف النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشأن ابْن صَيَّادٍ في بداية الأمر، وأقسم بعض الصحابة المقرَّبين من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن ابْن صَيَّادٍ هو الدَّجَّال، ونفور عين ابن صياد دون شعور منه وانتفاخه في الطريق، وإخباره بمغيَّبات، كلُّ ذلك يُعَزِّز كونَه الدَّجَّالَ الأكبرَ، وهذه بداية إرهاصاته، وتطوُّر قدراته، وكذلك إصرار جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن ابْن صَيَّادٍ هو الدَّجَّال حتى لو مات أو أسلم، أما عن دخوله المدينة فليس فيه دلالة على أنه ليس الدَّجَّال؛ لأنه لا يدخلها في زمان الفتنة، وكذلك لا يتزوج في تلك المرحلة.

ووفق هذا يكون قسَم عمر وجابر وأبي ذر على أن ابنَ صيَّادٍ هو الدَّجَّال في محله، وجَزْمُ كبارِ الصحابة بذلك صحيحٌ، والقول بأن الدَّجَّال الموثَق في الجزيرة هو الدَّجَّال أيضًا صحيح، ولا تعارض بين هذه الأقوال لأننا أمام ظاهرة مخالفة للبَشَرِ، ومن الخطأ قياسُها وَفقَ عقولِنا ونوامِيسِنا ، والله أعلم .

• والمصلحة أن الدَّجَّال هو قائد أعظم فتنة في الأرض، والتي حذَّر منها كل الأنبياء.

• جزيرة الدَّجَّال:

ومعلوم أن لخم وجُذام (قبائل تميم الداري ومن معه) في منطقة قريبة من

البحر الأبيض ومن البحر الأحمر، إما من جهة خليج العقبة أو غيره، ولعبت سفينتهم شهرًا في البحر، وهذه المدة وفي الإمكانات القديمة تعطينا تصوُّرًا إلى أقصى مدى يمكن أن تكون السفينة وصلته حال تلاعب البحر بها؛ وهو إما خليج عدن أو قبله بقليل، أو تعدَّوه قليلًا في بحر العرب، والمعلوم أن ما قبل خليج عدن مئات بل آلاف من الجُزر؛ مما قد يُشيرُ أن المقصود أحدها.

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، ... ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا** }[1].

والجسَّاسة وصفت المكان الذي فيه الدَّجَّال بأنه الدَّيْرُ، وهو من معابد النصارى في الغالب، وتميمٌ كان نصرانيًّا، واليمن نفسها دخلتها النصرانيَّة.

• وغالبًا أنه لا فائدة من تعيين جزيرة الدَّجَّال أو البحث عنها؛ لذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ** }؛ لأنه انشغال فيما لا ينفع، فهو إشارة إلى مكان خروجه، وهو الذي يَعني المسلمين.

• فائدة لطيفة:

كان عند تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلب لمعرفة الحق، واستعداد للسعي للهداية، وسياق قصته إلى أنه أسلم يدلُّ على ذلك؛ لذا كان الدَّجَّال وهو صاحب أكبر فتنة على وجه الأرض سببًا في توجُّه تميم الداري إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالتالي سببًا

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، في حديث طويل، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ح (٢٩٣٧).

في هدايته، إذ أعلن إسلامه بعد معاينته لهذا الدليل، وهذا بعكس الأسباب، إذ الأصل أن الدَّجَّال هو سبب في صرف الناس عن الهداية.

• وفي هذه عبرة عظيمة لكل مسلم في زمن الفتن، فلا يظنَّ أن الفتن سببٌ في وَأْدِ الهداية، وإن كانت سببًا في تميُّز الحق من الباطل، وبين أهل الحق وأدعيائه، فإذا تواجد طلب حقيقيٌّ للهداية بداخلك، وأسباب حصولها المكملة، فإن عواصف الفتن ستكون في حقِّك نسيمًا عليلًا، كما كانت الريحُ الصَّرْصَرُ العقيم على قوم عاد هلاكًا لهم، وكانت نسيمًا عليلًا على هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعه.

وثبت في السُّنَّة أن القلب الذي ينكر الفتن يخرج منها أيضًا لا تشوبه شائبة {**مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**}، فكأن الفتن كانت سببًا في تخلية هذا القلب من الشوائب. كما كان صاحب أعظم فتنة في الأرض سببًا في هداية تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

***

ثالثًا: خطورة فتنة الدَّجَّال، وتعوذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها:

• عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: { **مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ** }(١).

• وعن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: { **إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، إِنَّهُ**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في بقية من أحاديث الدجال، ح (٢٩٤٦).

أَعْوَرُ، وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ }(١)، وفي رواية:**{ إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنبَةٌ طَافِيَةٌ }**(٢).

• وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: **{اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ }**(٣).

• وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو: **{ أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ وَالكَسَلِ، وَأَرْذَلِ العُمُرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَفِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ }**(٤).

عَنْ مُصْعَبٍ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْمُرُ بِخَمْسٍ، وَيَذْكُرُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ: **{ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا** - يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ - **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ }**(٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: ذكر الدجال، ح (٧١٢٧)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر ابن صياد، ح (٢٩٣١).

(٢) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ح (٣٤٣٩)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، ح (١٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأذان، ب: الدعاء قبل السلام، ح (٨٣٢).

(٤) أخرجه البخاري: ك: تفسير القرآن، ح (٤٧٠٧).

(٥) أخرجه البخاري في الفتن، ب: التعوذ من عذاب القبر، ح (٦٣٦٥).

الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ }(١).

• واختيار النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذكر هذه الاستعاذة في خاتمة الصلاة يتناسب مع خطر هذه العظائم الأربعة، والصلاة سبب نجاة لصاحبها مما يستقبله من عظائم، فبدأ بالاستعاذة بأعظم الأمور وبأبعدها عن المؤمن وهي النار، ثم تدرَّج في العظائم إلى أن انتهى إلى فتنة المسيح الدَّجَّال، وفي ذلك إشارة إلى أن أعظم فتن الدنيا هي فتنة المسيح الدَّجَّال. ولقد ربطها النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفتنة القبر في قوله:{ **مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ - أَوْ قَرِيبَ - مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ }**(٢).

• وفتنة القبر لا ينجو منها إلا مؤمن ثبَّته الله تعالى، ويقع فيها كل منافق أو مرتاب أو مَن لبسته الفتن في الدنيا، ومَن لم تحصده فتنة الدَّجَّال حصدته فتنة المحيا والممات، أو فتنة القبر، والعبرة بما كان عليه الإنسان قبل وقوع هذه الفتن، فليحذر المؤمن. لذا فإن الذي يَسْلَم من الفتن قبل فتنة الدَّجَّال أو القبر سيَسْلَم منها بإذن الله تعالى، والذي يقع فريسة للفتن قبلها - لا محالة - سيكون من أهل الوقوع بها، وهذا هو وجه مشابهتها لفتنة القبور.

***

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجنائز، ب: التعوُّذ من عذاب القبر، ح (١٣٧٧)، ومسلم: ك: الصلاة، ب: ما يستعاذ منه في الصلاة، ح (٥٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في الوضوء، ح (١٨٤)، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

• رابعًا: مجمل أوصاف الدَّجَّال:

(أعور، مكتوب بين عينيه كافر ـ ك ف ر ـ بظفرة غليظة، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، جفال الشعر، معه جنة ونار، ناره جنة وجنته نار، أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه دَفَأ (انحناء) كأنه قطن بن عبد العزَّى، أقمر هجانًا (أزهر)، شعر رأسه كأنه أغصان شجرة، شديد الخشونة ملتوٍ، قصير أفحج جعد)[1]، (أفحج): إذا مشى تتباعد ساقاه أي: هو معيب في مشيه مع انحناء في أعلى جسمه (الدفاء)، ممتلئ اللحم والصدر واسع ضخم، معالم وجهه مشوَّهة، فالعينان: إحداهما ممسوحة أو مطموسة، والأخرى خارجة عن حدِّها بشكل قبيح كأنها حبة عنب خضراء مَعيبة. (والدَّجَّال فتنة كبرى لليهود والنصارى الذين ادَّعَوْ ظلمًا وبهتانًا بأن المسيح عيسى ابن مريم ابن الله وأن عزيزًا ابن الله؛ لذلك كانوا أكثر أتباعه وأنصاره عندما يَرَوْن هذه الخوارق على يديه؛ وذلك من أسباب تسميته بالمسيح الدَّجَّال تفرقة بينه وبين المسيح عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله).

***

• خامسًا: علامات خروج الدَّجَّال:

• عمران بيت المقدس، وخراب يثرب، وخروج الملاحم، وفتح القسطنطينية (التي جانب منها في البر وجانب منها في البحر)، وقتال جزيرة العرب، ثم

---

(١) كل هذه الصفات ذكرت في أحاديث صحيحة [أخرجها البخاري: ك: الفتن، بأرقام: (٣٤٤٠)، (٧١٢٣)، (٧١٢٨)، (٧١٣١)]، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة بأرقام: [(٢٩٣٤)، (٢٩٣٣)]، وأبو داود برقم (٤٢٩٨)، وأحمد بأرقام [(٣٥٤٥)، (٧٩٢٤)، (٢٣٢٢١)، (٢١٢٠٤)].

فتحها، ثم قتال الروم وفتحها، ثم قتال الدَّجَّال.

ولقد ذكرنا جانبًا من هذه الأحاديث.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟** } قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا** - قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - **الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ** }(١).

• وفي هذا الحديث إشارة إلى فتح القسطنطنية، وأنها تفتح بالتكبير والتهليل؛ مما يدل على هيبة أهل الحق في آخر الزمان، وأنهم يؤيَّدون بالنصر بالرعب وبنصرات غيبية، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

وهذا لا يكون إلا مع طائفة من الصالحين المصلحين الربانيِّين أهل اليقين والصبر ممن أخلصوا لله عَزَّ وَجَلَّ، واتَّبعوا سنَّة نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثبتوا على ذلك.

• قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَعْرُوفُ الْمَحْفُوظُ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ وَسِيَاقُهُ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ الْعَرَبَ »(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، ح (٢٩٢٠).
(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ٢٤٢).

وقد يكون من أهل خراسان وهم من أنصار المهدي، وهي طائفة ضخمة من المسلمين تزعم أنها من بني إسحاق، وقد يكون غالب هذا الجيش منهم.

• **ومن علامات خروجه**: القحط، فتحبس السماء المطر بإذن ربِّها جلَّ وعلا، وتحبس الأرض كثيرًا من نباتها بإذن ربها جلَّ وعلا، ويَحِلُّ الجفافُ كما سيَحِلُّ ببحيرة طبرية وعين زغر ونخل بيسان، كما ورد في حديث تميم الداري.

• **ومن علامات خروجه**: خروج الكذَّابين واشتداد الفساد والجهل والبغضاء في الأرض، فيخرج في خفقة من الدين، وإدبار من العلم، وسوء ذات البين بين عموم الناس.

***

• سادسًا: أتباع الدَّجَّال:

(١) اليهود:

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ** }[(١)].

• ومن تأمل العقيدة اليهودية يجد أنها أنسب العقليات اتِّباعًا للدَّجَّالِ، ونصرةً لفتنته. فاليهود من بداية ديانتهم، وهم يرفضون إلهًا يَغيب عن أعينهم؛ لذا طلبوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يريَهم اللهَ جهرة، وطلبوا منه بعد نجاتهم من فرعون أن يجعل لهم آلهة يعكفون عليها، وهم الذين عبدوا العجل بعد غياب قصير لموسى

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في بقية من أحاديث الدجال، ح (٢٩٤٤).

عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهذه الوقائع في زمن نبيهم تدل على عقلية منحرفة مريضة لا تؤمن إلا في المشاهدات، كما تعدَّى الأمر إلى تشويه صورة الأنبياء، بل تعدَّى الأمر إلى الكفر صراحة بوصف الله تعالى بما لا يليق به، كما أنهم ينتظرون مُخلِّصًا لهم في آخر الزمان، ويصفونه بأنه ملك السلام الذي بشَّروا به.

فلكل ذلك ناسب أن يكون مخلِّصُهم هو الدَّجَّال بعينه، وناسَب ذلك إلههم الذي كانت تتشوَّق نفوسُهم إليه، هذا الإله المادي الذي يَرْعَى شهواتهم، ويوافق أهواءهم.

(٢) الفرق المارقة والخوارج:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ** }(١). وهؤلاء لا يصل القرآن إلى قلوبهم فَيُوعُوْهُ، بل يقتصر على قراءة اللسان دون تعقُّل.

وخَرَجَ قَرْنٌ: أي ظهرت طائفة منهم، وفي رواية: { **لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ، لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ حَتَّى يَخْرُجَ آخِرُهُمْ مَعَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ، وَالْخَلِيقَةِ** }(٢).

- والخوارج أيضًا لهم عقلية منحرفة، فهم سفهاء الأحلام صغار السنِّ، يأخذون

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ب: في ذكر الخوارج، ح (١٧٤)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٩٨٠٨)، والنسائي: ك: تحريم الدم، ب: من شهر سيفه ثم وضعه في الناس، ح (٤١٠٣)، والحاكم ح (٢٦٤٧)، وقال صحيح على شرط مسلم.

بظاهر الإسلام، ويُغلُون في فهمه، يُؤَوِّلون النصوص، ويُعَطِّلون ما شاءوا منها، يحاربون أهل الإسلام باسم الإسلام، ويُشهِرون سيف التكفير في وجوههم، يشابههم في ذلك فرق الباطنية وكل الفرق الضالة التي خرجت عن تعاليم الإسلام وتدَّعي أنها تنصر هذا الدين، والغاية التي تجمعها هو الاتفاق مع كل الملل حولها على مناصبة العداء للإسلام وأهله الصادقين من خلال نصوص الدين نفسه.

(٣) أصحاب البدع والضلالات:

عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ** }[١].

المجوس: هم عبَّاد النار، وهو يقولون بوجود إله النور وإله الظلمة، أي يثبتون فاعِلَيْنِ في الكون، وكذلك القَدَرِيَّة يُضيفون الخير إلى الله والشرَّ إلى غيره، وهم بذلك يثبتون فاعِلَيْنِ في الكون، فأشبهوا بذلك المجوسَ.

ويجد أهل البدع والأهواء في الدَّجَّال بغيتهم، ويجمعهم الدَّجَّالُ تحت لوائه، فهم من شيعته وعلى سُنَّته؛ لأن عدوَّهم الحقيقي هو الطائفة القائمة على الحق.

ومع أن بعض هذه الطوائف المبتدعة كالجهمية والمعتزلة تنكر وجود الدَّجَّال، وهذه من الفتن الموطِّئة للدَّجَّال التي وقعوا فيها؛ لذا فهم أول من يقع في فتنته، خاصة أنه قد غيِّبَت من ذاكرتهم وجوده أو وقوع فتنته.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٥٥٨٤)، وأبو داود: ك: السنة، ب: في القدر، ح (٤٦٩٢)، ورواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى القروي ثقة.

(٤) النساء:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ** }(١).

• المعلوم أن المرأة تتميز بسرعة التأثر، وعدم ضبطها وتعقلها للأوامر كالرجل، إضافة إلى ضعف نفسيتها وعدم قدرتها على التحمُّل والصبر كالرجل؛ لذا حذر النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فتنة النساء، واعتبرها أعظم فتنة في أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يفسِّر لنا تركيز أهل الباطل على المرأة، والتفنن في إفسادها بحجَّة تحريرها.

• وبالتالي تعتبر فتنة النساء إحدى الفتن الموطِّئة والمعزِّزة لفتنة الرجال، فالنساء تعتبَر إحدى حبائل الدَّجَّال؛ لذا كانت طريقته المشبعة بالشَّهَوات والترف أحد وسائل الدَّجَّال في إغوائهن، وقد يُلَبِّس على الناس بأنه داعية تحرير ونصير المستضعفين كالمرأة، كل هذه العوامل تفسِّر لنا كثرة أتباع الدَّجَّال من النساء.

• واقعنا المعاصر يشهد لما ذكرناه، وما يشاهده المرء من الفتن التي تقودها النساء في زماننا، وما تجده من تسهيلات من أهل الباطل للقيام بذلك، يعطي تصورًا لما سوف يستجد على يد الدَّجَّال.

(٥) الشياطين:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ

(١) أخرجه أحمد، ح (٥٣٥٣)، والطبراني في المعجم الأوسط، ح (٤٠٩٩)، قال الهيثمي: في الصحيح بعضه (مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٧).

مَسْجُونَةً، أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا »(١).

• هذه الشياطين التي أوثقها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ تُحرَّر وتقرأ على الناس قرآنًا أو كتابًا يُتلَى بما أشبه القرآن، تتشكَّل على شكل بَشَرٍ بين الناس للفتنة بينهم، وتحرُّرهم من القيد يناسب زمن الدَّجَّال أو قبله بقليل، وليس في الحديث إشارة إلى ذلك.

لكن عظم الفتنة وخطرها حيث تتحد طاقات إبليس الجن، وإبليس الإنس في الكيد لأهل الحق في آخر الزمان (قوى الشَّرِّ) للانتصار في معركتهم العصماء.

(٦) السحرة:

المهنة السوداء التي يمتهنها بعض خبثاء البشر، وهذه الطائفة ليس لها مرجعية في سلوكها وعلومها إلا من خلال الطرق الشيطانية السوداء، فيصدق فيهم أنهم عبدة الشيطان؛ لذلك يجد أفراد هذه الطائفة بغيتهم في كبيرهم أو ساحرهم الأكبر الدَّجَّال الذي يأتي بمخاريق عظيمة تفوق كل ماحصَّلوه وتعلَّموه من خلال الشيطان، ويرون من سحره ما يجعلهم عبَّادًا له؛ لذا نجدهم أحرص الناس على اتِّباعه، والتعلُّم منه، وأكثرهم إخلاصًا في الدعوة لفتنتة والتلبيس على الناس، وقد رُوِيَ في بعض الآثار أن السحرة يتبعون الدَّجَّال، ويقدِّمون بين يديه دَجَلَهُمْ، وينتشرون بين الناس للترويج له.

(٧) أصحاب الشَّهَوات:

فتنة الدَّجَّال هي العُظمى، وحبالها هي الشَّهَوات والشُّبُهات، والصف الأول

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة (١/ ١٢).

من الأتباع للدجال هم من (١) إلىٰ (٦).

أما الصف الثاني فيكون من ضعيفي النفوس، ممن يرتع في الشَّهَوات دون تمييز بين الحلال والحرام، همه ملء بطنه وإفراغ شهوته، أو هُمْ عبدة الدرهم والدينار، والجنيه والدولار، كعبدة العجل، فهؤلاء لا يستطيعون الصبر علىٰ فتنة الدَّجَّال فيتبعونه مع علمهم بكفره.

وفي الأثر عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتْبَعُهُ نَاسٌ، يَقُولُونَ: نَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَإِنَّمَا نَتْبَعُهُ لِنَأْكُلَ مِنْ طَعَامِهِ، وَنَرْعَىٰ مِنَ الشَّجَرِ، فَإِذَا نَزَلَ غَضَبُ اللهِ نَزَلَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا»(١).

• نسأل الله تعالىٰ أن يجنِّبنا زمان الدَّجَّال وفتنتَه، وكان الله في عون أهل الحق في هذا الزمان، فلو تصوَّرنا اجتماع رأس الشرِّ «الدَّجَّال» وما عليه من قدرات خارقة، وأعوانه هم رأس كل شرٍّ في العالم، وتفلُّت الشياطين لتلبِّس علىٰ الناس، وتتحرك السحرة بدجلها، وينتشر الغلاة والخوارج بفكرهم، ويستأسد الدعاة للبدع، ويجدون نصرة لهم، وحربًا علىٰ من خالفهم من الدَّجَّال، وينتشر قرَّاء القرآن علىٰ الطريقة الدَّجَّالية، ويتكلم المتفيهقون بلسانه، وتلقىٰ النساء بفتنتها لإماتة القلوب أو إفسادها، ويكثر المتساقطون من عَبَدَة الشَّهَوات والأموال، ويكون علىٰ رأس هؤلاء اليهود بما عُرفوا فيه من تلبيس وخداع وتحريف وتلاعب بالحق، وتزيين للباطل. أدركت حينئذ عظم فتنة الدَّجَّال ومدىٰ خطورتها، وحق لمثل هذه الفتنة أن يتعوَّذ الإنسان من شرِّها في كل صلاة، وانظر إلىٰ أي مدىٰ تشبه

---

(١) أخرجه نعيم في الفتن برقم [١٣٢٦ (الفتن:٣٧٤)].

فتنةُ الدَّجَّال الفتنَ المعاصرة التي وقعت فيها الأمَّة؛ مما يُعزِّز القول بأننا في هذه المرحلة نعيش فتنة الدُّهَيْماءِ. نسأل الله تعالىٰ السلامة والعافية.

***

سابعًا: طبيعة فتنة الدَّجَّال:

(١) واقع الدَّجَّال لا يتناسب مع ادِّعائه الربوبية:

فهو يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، أعور، ويقتله عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويقول للناس: أنا ربُّكم، فمن قال له: أنت ربي، فقد فُتِنَ، ومن قال: ربي اللهُ فقد عُصِم من فتنته، ولا فتنة بعده (١).

وغاية ما في قدرات الدَّجَّال يدخل من باب الاستدراج، واستعانته بالجن والشياطين والسَّحَرة، والغرض من ذلك هو إغواء الناس.

(٢) عموم فتنة الدَّجَّال والرعب المرافق لها:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ لاَ يَدْخُلُ المَدِينَةَ رُعْبُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ }**(٢)، وفي رواية: **{ ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ }**(٣).

• وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ .. يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: الْكَعْبَةَ، وَمَسْجِدَ الرَّسُولِ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ.. }** (٤).

---

(١) انظر مجمع الزوائد (٨/ ٢)، (٧/ ٣٣٦).
(٢) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: لا يدخل الدجال المدينة، ح (١٨٧٩).
(٣) المصدر السابق، ح (١٨٨١) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه أحمد، ح (٢٣٠٩٠)، وإسناده صحيح.

ولقد حذَّر النبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من المجيء إليه، فقال: { **مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهات** }(١).

فأيام الدَّجَّال أيام كالحات من الرعب والشَّهَوات والإرهاب بكل معانيه، عنوانها القتل والتجويع لكل من يخالفه؛ لذا وصَّىٰ النبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعدم الاستهانة بآثار هذه الفتنة علىٰ النفوس، وعلىٰ المؤمن أن يجتهد في الابتعاد عنه، لأنه لا يأمن علىٰ نفسه من الفتنة.

(٣) شبهات الدَّجَّال وشهواته:

عن حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: { **إِنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ** }(٢).

وفي رواية مسلم:{ **لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ** }(٣).

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٩٨٧٥)، وأبو داود في الملاحم، ح (٤٣١٩)، عن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ح (٣٤٥٠).

(٣) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ح (٢٩٣٤).

وفي رواية عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ، قَالَ: **{ وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ }** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ، قَالَ: **{ هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ }**(١).

يقول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ:« قَالَ عِيَاضٌ مَعْنَاهُ هُوَ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ مَا يَخْلُقُهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ مُضِلًّا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَمُشَكِّكًا لِقُلُوبِ الْمُوقِنِينَ، بَلْ لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا، وَيَرْتَابَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الَّذِي يَقْتُلُهُ مَا كُنْتُ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي فِيكَ، لَا أَنَّ قَوْلَهُ هُوَ أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَعَهُ؛ بَلِ الْمُرَادُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ آيَةً عَلَىٰ صِدْقِهِ، وَلَا سِيَّمَا وَقَدْ جَعَلَ فِيهِ آيَةً ظَاهِرَةً فِي كَذِبِهِ وَكُفْرِهِ يَقْرَأُهَا مَنْ قَرَأَ، وَمَنْ لَا يَقْرَأُ زَائِدَةً عَلَىٰ شَوَاهِدِ كَذِبِهِ مَنْ حَدَثِهِ وَنَقْصِهِ »(٢).

(٤) قصة الرجل المؤمن الذي يقتله الدَّجَّال:

من الملاحظة علىٰ الدَّجَّال أنه لا يعرف المساومة، كأن شعاره: من ليس معنا فهو عدوُّنا وضدّنا؛ لذا لا نلحظ زمن فتنة الدَّجَّال إلا فريقين فقط: أتباع الدَّجَّال وهم كثير، والفئة المؤمنة الصادقة، وهم قليل، ومنهم هذا الرجل.

• عن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**{ يَأْتِي الدَّجَّالُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة ، ب: في الدجال وهو أهون على الله، ح (٢٩٣٩).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٩٩).

إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ}(١).

وفي رواية مسلم:{... ثُمَّ يَقُولُ - أي الرجل الصالح -: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ }. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ }(٢).

• في هذا الحديث دليل على عجز الدَّجَّال وضعفه مع توفُّر كل فتن الشُّبُهات والشَّهَوات لديه، ومع ما أُوتي من قدرات، إلا أنه يعجز أمام هذا الرجل المؤمن، ولا يملك تغيير القلوب الممتلئة إيمانًا أو يؤثِّر فيها، فأهل الإيمان يزدادون إيمانًا، وهذا يؤكد أن فتنة الدَّجَّال هي فتنة حصاد لا فتنة زرع، بمعنى أن الفتن التي قبله تزرع، وفتنة الدَّجَّال تحصد، ومن كان من أهل الإيمان الحق قبل الدَّجَّال، كان أيضًا من أهله بعد فتنة الدَّجَّال، ومن كان من أهل الريبة، أو ممن يعبدون الله على حرف، فهؤلاء هم مطمع الدَّجَّال، ومدار فتنته.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: لا يدخل الدجال المدينة، ح (٧١٣٢).
(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه، ح (٢٩٣٨).

• وظاهر القصة يُشيرُ إلىٰ أن الرجل الذي يخرج إليه هو من أهل المدينة[١]، والحديث يبرز أهمية العلم، ومدىٰ ضرورة معرفة ما أخبر به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الفتن وعلامات الساعة.

والقصة تُشيرُ إلىٰ أن المقصد من تقدير حصول فتنة الدَّجَّال هو الابتلاء والاختبار، فإذا تبيَّن نجاح المؤمن في الاختبار كانت فتنة الدَّجَّال عليه بردًا وسلامًا، ويترتَّب علىٰ ذلك انحسار سطوة الدَّجَّال وقدرته.

(٥) مدة فتنة الدَّجَّال:

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، ... وفيه: « قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: { **أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ** } قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: { **لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ** } »[٢].

وهذه الأيام علىٰ حقيقتها، أربعون يومًا منها ثلاثة أيام، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، ويصلي العبد في اليوم الأول (٥ صلوات × ٣٦٥) أي (١٨٢٥) فريضة، ويصلي في اليوم الثاني (٥×٣٠) أي (١٥٠) فريضة، ويصلي في اليوم الثالث (٥×٧) أي (٣٥) فريضة[٣].

---

(١) اختلف في كنه هذا الرجل: قيل هو الخضر، وهذه دعوى ليس عليها دليل أو برهان، ومعرفة اسم الرجل ليست ذات أهمية، يكفي أنه أعظم الناس شهادة عند رب العالمين.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ح (٢٩٣٧).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٩/ ٢٦٠).

وهذه الأيام المطوَّلة تشمل الليل والنهار. نسأل الله تعالىٰ النجاة من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

(٦) الفئة المؤمنة المتصدية للدّجّال:

وهي الطائفة المنصورة من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين علىٰ من ناوأهم حتىٰ يقاتل آخرُهم الدَّجَّال، وهم أشبه بالرَّعيل الأول من الصحابة الكرام، ينزل عليهم نبيُّ الله عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كرامة لهم وتأييدًا لهم في حربهم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: « مَا زِلْتُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلَاثٍ، سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِيهِمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: { **هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَّالِ** }، قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا** }، وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ: { **أَعْتِقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ...** }[1].

(٧) العواصم من الدّجّال:

أولاً الأماكن المعصومة: وهي: (مكة، والمدينة، وجبل الطور، والمسجد الأقصىٰ)، وقد سبقت الأدلة علىٰ ذلك، ونضيف عليها ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ** }[2].

وفي رواية: { **... يَجِيءُ الدَّجَّالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا، فَيَنْظُرُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَقُولُ**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: العتق، ب: من ملك من العرب رقيقًا..، ح (٢٥٤٣).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الحج، ب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، ح (١٣٨٠).

لِأَصْحَابِهِ: تَرَوْنَ هَذَا الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ؟ هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ ثُمَّ يَأْتِي الْمَدِينَةَ، فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكًا مُصْلِتًا، فَيَأْتِي سَبْخَةَ الْجُرْفِ، فَيَضْرِبُ رُوَاقَهُ، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ، وَلَا فَاسِقَةٌ، إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ }(١).

هذا الحديث فيه إعجاز نبوي حيث كان المسجد في عهد النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عريش من الجريد؛ أي أنه سيصبح أشبه بالقصر العظيم المنيف ولونه يكون أبيض، ومن ينظر إلىٰ المسجد النبوي في عصرنا يجد مصداق كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• قدوم الرجل نحو المدينة وحصاره لها ووقوع الرجفات الثلاثة ـ والله أعلم بحقيقتها ـ يحرك ذوي النفوس المريضة من أصحاب الشَّهَوات والشُّبُهات، أو ممن يعبدون الله علىٰ حرف، فيخرجون للدَّجَّالِ نصرةً له، وخروجهم خير للمؤمنين، وسُمِّي ذلك اليوم بيوم الخلاص؛ أي خلاص المدينة من المنافقين، ولا يبقىٰ فيها إلا الذهب الخالص من المؤمنين الذي لا تزيده شدةُ النار إلا نقاوة وقوة وصفاء.

• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلَا الدَّجَّالُ }**(٢).

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٨٩٧٥)، والحاكم في المستدرك، ح (٨٦٣١)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٨)].

(٢) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: لا يدخل الدجال المدينة، ح (١٨٨٠)، ومسلم: ك: الحج، ب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، ح (١٣٧٩).

ثانيًا: آيات عاصمة:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ** }(١)، هذا الحديث في حفظ عشرة آيات.

كما ورد حديث بقراءة ثلاث آيات منها، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ** }(٢)، وتكون هذه القراءة في وجه الدَّجَّال لورود الدليل على ذلك.

- واختيار سورة الكهف له عدة تأويلات:

الأول: لما يتضمن أولُها وآخرُها من العجائب والآيات التي يحصل لمن تدبَّرها عدم الاغترار بفتنة الدَّجَّال.

الثاني: [بسبب ما ورد في سوة الكهف من ذكر لقصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين، وكل قصة تعالج فتنة من فتن الدَّجَّال: **فتية الكهف** وموقف أهل الباطل من أصحاب الملك والسلطان، وقسوتهم وشدَّتهم على أهل الحق، وكان الحلُّ في اعتزال الفتية لقومهم وما يعبدون من دون الله، **وقصة صاحب الجنتين** نتعلم منها عدم الاغترار بالأموال والافتتان بها، **وقصة موسى والخضر** تعلِّمُنا الأدب في طلب العلم، والصبر على تحصيله؛ لأن فيه نجاة من الفتن، **وقصة ذي القرنين** تعلِّمُنا أن لصاحب الحق هيبة، ولا بد له من أسباب القوة للوقوف أمام الباطل وتحجيمه.

---

(١) أخرجه مسلم: ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ح (٨٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب فضائل القرآن، ب: فضل سورة الكهف، ح (٢٨٨٦) وقال: حسن صحيح.

والدَّجَّال تتمثَّل فيه كل هذه الفتن والشَّهوات].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **مَنْ قَرَأَ سُورَةُ الْكَهْفَ كَمَا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الدَّجَّالِ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ - أَوْ: لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ** }(١).

الثالث: من خصائص سورة الكهف، أن لها نورًا خاصًّا لا يستطيعه الدَّجَّال، كما أن لآية الكرسي نورًا خاصًّا يمنع الشيطان من الاقتراب، وكذا لخواتيم سورة البقرة نورًا يترتَّب عليه كفاية صاحبها من كل مكروه ليلتَه إذا قرأها قبل منامه.

ويؤيد ذلك الأثر: { **مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآخِرَهَا، كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنْ قَدَمِهِ إِلَى رَأْسِهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا كُلَّهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ** }(٢).

فسورة الكهف لها نور لا يستطيع الدَّجَّال اختراقه، كما لا يستطيع اختراق المدينة النبوية.

ثالثًا: العلم والصبر واليقين:

قال سبحانه: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [السجدة]. فإذا كنت من أهل العلم والإيمان والصبر واليقين، فلا أثر للدَّجَّالِ عليك حتى لو قدَّر الله لك مواجهته بنفسك، كالرجل الذي واجهه

---

(١) أخرجه الحاكم: ك: الفتن والملاحم، ح (٨٥٦٢)، وقال عنه صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٥٦٢٦) عن سهل بن معاذ عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي إسناد أحمدَ ابنُ لهيعة وهو ضعيف، وله شاهد عند الطبري [مجمع الزوائد (٧/ ٥٢)].

وازداد فيه بصيرة أنه عدو الله سبحانه، وهذا الرجل إنما عصمه الله تعالىٰ بالعلم بحقيقة هذه الفتنة، وحدودها وطبيعتها، وبالصبر عندما تعرَّض للبلاء، وباليقين فلم يقع في خدعة الدَّجَّال بقتله ثم إحيائه.

• واليقين هو روح الإيمان ونوره الذي يتلألأ في قلب المؤمن، وهو خير ما وقر في القلب، ويظهر أثره في عموم حياة المؤمن، وخصوصًا في زمن الدَّجَّال، بهذا اليقين يرىٰ كلمة الكفر بين عينيه، وتصديق ما أخبر به النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيفرُّ من ماء الدَّجَّال الخادع، ويقتحم ناره التي ليست علىٰ حقيقتها.

(٨) طعام المؤمنين في زمان الدَّجَّال كطعام الملائكة:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ طَعَامِ الْمُؤْمِنِينَ فِي زَمَنِ الدَّجَّالِ، قَالَ: **{طَعَامُ الْمَلَائِكَةِ}** قَالُوا: وَمَا طَعَامُ الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ: **{ طَعَامُهُمْ مَنْطِقُهُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، فَمَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ يَوْمَئِذٍ التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُ الْجُوعَ، فَلَمْ يَخْشَ جُوعًا }**[1].

• إن المؤمنين لا يُحرَمون من عناية الله سبحانه وتعالىٰ بهم، فثباتهم علىٰ الحق وصبرهم عليه يُثابون عليه خير الثواب، باستغنائهم عما جُبِلوا عليه من طلب للطعام يَسدُّون به رمقهم، ويَعتاضون به بطعام الملائكة وهو التسبيح، حيث يَعُمُّ القحطُ، ويُعزِّز الدَّجَّال حربه علىٰ المؤمنين بالمقاطعة، فيَشِحُّ الطعام في أيديهم، فيجزئهم عنه التسبيح كرامة لهم وسببًا في وقوع الجوع كالطعام. والأمر كله لله سبحانه وتعالىٰ، والدَّجَّال أهون من ذلك؛ أي أحقر من أن يقهر المؤمنين بقطع

---

(١) أخرجه الحاكم في الفتن، ح (٨٥٦١)، وقال عنه: صحيح الإسناد على شرط مسلم.

أسباب الحياة عنهم.

• والذي أنزل مائدة من السماء على عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وأتباعه قادر على أن ينزل مائدة على أنصار مِلَّة الحق ممن يستحقُّون نزول عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في آخر أمره.

• وانظر كيف يُغني الله المؤمنين في ذلك الوقت، بالاستغناء عن الدَّجَّال وشهواته وطعامه، ومن يَستَغنِ يُغنِهِ الله، يَكفي فخرًا لهم أنهم استحقوا وهو في شدتهم وقيامهم على عمل الملائكة أن يكونوا مثلهم في الاستغناء عن الطعام، ومداومة التسبيح والذكر لله رب العالمين.

(٩) نهاية فتنة الدَّجَّال: الحصار الشديد لبيت المقدس ونهاية الدَّجَّال وشيعته:

عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبَّادٍ الْعَبْدِيِّ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، قَالَ: شَهِدْتُ يَوْمًا خُطْبَةً لِسَمُرَةَ ابْنِ جُنْدُبٍ، فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وفيه: **{ وَإِنَّهُ سَيَظْهَرُ، أَوْ قَالَ: سَوْفَ يَظْهَرُ، عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا، إِلَّا الْحَرَمَ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَإِنَّهُ يَحْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيُزَلْزَلُونَ زِلْزَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ يُهْلِكُهُ اللهُ وَجُنُودَهُ، حَتَّى إِنَّ جِذْمَ الْحَائِطِ،** أَوْ قَالَ: (أَصْلَ الْحَائِطِ)، وَقَالَ حَسَنٌ الْأَشْيَبُ: (وَأَصْلَ الشَّجَرَةِ)، **لَيُنَادِي،** أَوْ قَالَ: يَقُولُ: **يَا مُؤْمِنُ، أَوْ قَالَ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ،** أَوْ قَالَ: **هَذَا كَافِرٌ، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ }،** قَالَ: **{ وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى تَرَوْا أُمُورًا يَتَفَاقَمُ شَأْنُهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَتَسَاءَلُونَ بَيْنَكُمْ هَلْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ذَكَرَ لَكُمْ مِنْهَا ذِكْرًا، وَحَتَّى تَزُولَ جِبَالٌ عَلَى مَرَاتِبِهَا، ثُمَّ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ الْقَبْضُ }**[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٠١٧٨)، وابن خزيمه في صحيحه، ح (١٣٩٧)، والحاكم، ح (١٢٣٠)، وقال عنه: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

• عن مُجَمِّعَ ابْنِ جَارِيَةَ الأَنْصَارِيِّ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ }(١).

• وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { ... وَيَبْعَثُ اللهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ، وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يرَى النَّاسُ، وَيَقْتُلُ نَفْسًا ثُمَّ يُحْيِيهَا فِيمَا يَرَى النَّاسُ، لَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا الرَّبُّ }، قَالَ: { فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالشَّامِ فَيَأْتِيهِمْ، فَيُحَاصِرُهُمْ، فَيَشْتَدُّ حِصَارُهُمْ وَيُجْهِدُهُمْ جَهْدًا شَدِيدًا، ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ، فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَتُقَامُ الصَّلَاةُ، فَيُقَالُ لَهُ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ، فَيَقُولُ: لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ }، قَالَ: { فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْشِي إِلَيْهِ، فَيَقْتُلُهُ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي: يَا رُوحَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ، فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ }(٢).

• وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث طويل عن الدَّجَّال:{ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٥٤٦٨)، والترمذي: أبواب الفتن، ب: ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال، ح (٢٢٤٤)، وقال: حديث صحيح.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه أحمد، ح (١٤٩٥٤)، والحاكم وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي [المستدرك (٤/ ٥٣)]. عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ }(١).

◘ الخلاصة:

من هذه الأحاديث وغيرها نخلص إلى ما يلي: ـ

١ـ بعد حصار الدَّجَّال للمدينة وقد منعته الملائكة منها، وحدوث الرَّجَفات الثلاث، وخروج شِرار الناس منها ليتَّبعوا الدَّجَّالَ، يبدأ الدَّجَّالُ في التحرُّك نحو بيت المقدس حيث تتواجد قوة المسلمين وإمامهم، وفي طريقه يحصد الدَّجَّال من بقي في طريقه من القبائل، ويتبعه شِرارُ تلك البقاع إلى أن يصل إلى بيت المقدس، ويبدأ الحصار العظيم لأهل الحق.

٢ـ معظم جيش الدَّجَّال من اليهود، وهم القاعدة البارزة في جنده في هذه المعركة، ولعل استدراجهم لمعركة فلسطين بالذات له علاقة بوعد الدَّجَّال لهم بدولتهم في أرض الميعاد، وإما هي نزعة انتقام لقريب عهدهم بزوال دولتهم فيها، فيأتون ليستردوا ملكهم السَّليب.

٣ـ حال المؤمنين يكون شديدًا، فهم في حصار وتجويع، وهذا الطاغية الدَّجَّال الذي يُشبه شياطين الجنِّ في أفعاله يُحاصِرُهم بأعداد هائلة؛ لذلك يَتحصَّنون في

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر الدجال وصفته ومامعه، ح (٢٩٣٧).

جبل الدُّخان، ويسمىٰ (جبل إيلياء).

٤- نزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، ومنها يتحرك ناحية ثغر المسلمين الذي حوصروا فيه، ونزوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبل صلاة الفجر، في أحلك الظروف وأشدِّها علىٰ المسلمين.

٥- تأييد المسلمين بعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبالشجر والحَجَر كان بعد صدق المسلمين وثباتهم علىٰ الدين، ونجاحهم في الاختبار، تناسب ذلك أن يُؤَيَّدوا تأييدًا حقيقيًّا بالخوارق التي أبطلت خوارق وكيد وسطوة الدَّجَّال المزيفة.

٦- فتنة الدَّجَّال علىٰ عظمتها انتهت بأهون الأسباب فذاب كما يذوب الملح، وهذا دليل واضح علىٰ أن قوة الباطل مهما عظمت فهي خيوط عنكبوت.

٧- بعد نهاية المعركة يأتي عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ مَن عَصمهم الله سبحانه وتعالىٰ من الدَّجَّال فيمسح علىٰ وجوههم، ويبلغهم بدرجاتهم في الجنة، فكما بدأ الإسلام في زمان النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من الصحابة مَن يمشي علىٰ الأرض وهو مِن أهل الجنة، كذلك تختم بنفس الأمر في آخر الزمان بأن مَن يمشي علىٰ الأرض هو من أهل الجنة.

٨ - يحكم عيسىٰ ابنُ مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أمة الإسلام بالعدل إمامًا مُقسطًا، يدقُّ الصليب، ويضع الجزية، ويُحرِّم الخنزير، ويترك الصدقة، وتُرفَع الشَّحْناء والتباغض، ويكون الذئب مع الغنم كأنه كلبها يحرسها، وتكون الكلمة واحدة فلا يُعبَدُ إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتنبت الأرض نباتها حتىٰ يجتمع النفر علىٰ قطف من العنب فيُشبعهم، ويجتمع النفر علىٰ الرمانة فتُشبعهم.

٩ـ هذه العلامة من أظهر العلامات على قرب نهاية البشرية كما سيأتي بعد قليل -إن شاء الله-.

١٠ـ لا يتمنينَّ مسلمٌ لقاءَ الدَّجَّال أو التواجد في زمن فتنته، ولكن إذا قدَّر الله له فعليه الثبات والاستعانة بالله، واللجوء إلى الكتاب والسنة والصحبة الثابتة التقية النقية؛ لأن القاعدة: { **لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَّ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا** }.

• **أخيرًا** إذا أردت المزيد من الأحاديث المطوَّلة في الدَّجَّال فارجع إلى المصادر التالية:ـ

ـ صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، وخاصة حديث النوَّاسِ بنِ سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ برقم (٢٩٣٧).

ـ وحديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في سنن ابن ماجه برقم (٤٠٧٧).

ـ وحديث سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في مسند الإمام أحمد في أول مسند البصريين برقم (٢٠١٧٨) وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٧٥١٣)، والحاكم في المستدرك برقم (١٢٣٠).

نسأل الله تعالى العصمة من فتنة الدَّجَّال، وفتن الدنيا والآخرة، اللهم إن أردت بالناس أو بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين ولا مُبدِّلين... آمين.



الفصل السادس

مرحلة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

• **نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من علامات الساعة:**

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء].

في هذه الآية إشارة قوية إلى نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخر الزمان، وبطلان شبه اليهود الذين ادَّعوا أنهم قتلوه، وإبطال شبهات بعض النصارى ممن وافقوا اليهود في ادِّعائهم الصَّلْبَ، وأنه ابن الله - تعالى عما يقولون -.

• عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ، حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ** }(١).

ففي هذا الحديث إشارة واضحة إلى أن نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو علامة من علامات الساعة؛ لذا ربط النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين نزوله وقيامها.

• **الحكمة من نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

أشار القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢) إلى حكمة نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من ثلاثة وجوه هي:

• **الوجه الأول:** أن اليهود ـ لعنهم الله ـ هم أكثر من آذى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المظالم والغصب، ب: كسر الصليب وقتل الخنزير، ح (٢٤٧٦).
(٢) التذكرة للقرطبي، ص (٧٦٤، وما بعدها).

وهمّوا بقتله وصلبه، فنجَّاه الله سبحانه وتعالىٰ، وهم أكثر من آمن بالدَّجَّال (نبيِّهم المزعوم)، فناسب ذلك نزول النبيِّ الذي ظنوا أنهم قتلوه، وينصره الله تعالىٰ عليهم وعلىٰ دجَّالهم، ويهزمهم مع إلههم المزعوم.

ويكون نزوله إظهارًا للحق، وأن الدين واحد، ولا يصلح دينان في الأرض.

• **الوجه الثاني:** يحتمل أن يكون نزوله لقرب أجله، ووفق هذا الاحتمال لا يكون نزوله لقتال الدَّجَّال قصدًا، بل وافق نزوله استعظام فتنته؛ لذا هو أولىٰ من ينصر أهل الحق.

• **الوجه الثالث:** أن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ وجد فضل أمة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿**ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ**﴾ [الفتح:٢٩]. فدعا الله سبحانه وتعالىٰ أن يجعله من أمة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فاستجاب الله سبحانه وتعالىٰ دعاءه، ورفعه إلىٰ السماء إلىٰ أن ينزله في آخر الزمان مجدِّدًا ما دُرِسَ من دين محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

• إذن يكون نزوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إبطالًا لدعوىٰ اليهود، وغلوِّ النصارىٰ، وتصديقًا لاعتقاد أهل الإسلام فيه، وعونًا لهم في قتالهم لملل أهل الكفر التي اتَّحدت لقتالهم مع دعاية واسعة ضدهم، باعتبارهم مخالفين للحق، أو مخالفين للشرع الدولي الذي يقرِّره الدَّجَّال.

ومن المعلوم أن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أولي العزم من الرسل؛ لذا ناسب طبيعة درجته العظيمة نزوله من أعظم منحة ليكمل رسالته في مجاهدة أعظم قُوَىٰ الشرِّ في العالم؛ ويكون بذلك قد استكمل درجته العليا كرسول من أولي العزم من الرسل، وينتصر علىٰ اليهود كما انتصر باقي أولي العزم من الرسل.

• ولقد ادَّخر الله تعالىٰ له نصرته علىٰ اليهود في آخر الزمان، فلقد نصر الله تعالىٰ نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأغرقت الأرضُ أهلَ الباطل، وانتصر إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في معركته مع النُّمرود، وموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ انتصر في معركته مع فرعون، وكذلك انتصر محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معركته مع المشركين وأهل الكتاب.

• ولقد ناسبَ نزول مسيح الحق عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليهلك مسيح الضلالة في آخر الزمان.

• ولما كانت مرحلة نزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أَحْلَكِ المراحل التي تمرُّ بأهل الحق علىٰ الأرض، والمواجهة فيها بأعلىٰ درجاتها؛ لذا ناسب الأمر أن يكون لأحد الأنبياء نصيب في ذلك الصراع العظيم، ومن المعلوم أن محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الأنبياء، ولا نبيَّ يُبعَث بعدَه؛ لذا ناسب الأمر نزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليكون بشارة لأهل الحق وترغيمًا لأهل الباطل، وهذا من مقتضيات رحمة الله سبحانه بهذه الأمة التي كان نصيبها رسولين من رسل أولي العزم، حيث ابتدأ أمرها بسيد الأولين والآخرين خاتم الأنبياء والمرسلين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآخرها بكلمة الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فكان ذلك تعويضًا لها علىٰ قلَّة الأنبياء فيها كما كانت الأمم السالفة.

• الإمامة في عهد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ** }(١)، والإمامة هنا إمامة الدنيا والدين، كما ورد عن

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، ح: (٣٤٤٩)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (١٥٥).

جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** }، قَالَ: { **فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ الله هَذِهِ الْأُمَّةَ** }(١).

وهذا فيه دلالة بأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لن يأتي بشرع جديد، وأن شريعة الإسلام التي جاء به النبيُّ العَدنان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متَّصلة إلى يوم القيامة، وينال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شرف الاتِّباع لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما ورد في قولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: { **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي** }(٢).

وفي الأثر: عندما تحضر الصلاة، فيقول خليفة المسلمين لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: { **يَا مَسِيحَ الله، صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ: بَلْ أَنْتَ فَصَلِّ لِأَصْحَابِكَ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُ وَزِيرًا، وَلَمْ أُبْعَثْ أَمِيرًا** }(٣).

وهذا لا يتنافى مع الأحاديث الواردة: { **فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ }(٤)، لأن صلاته هنا من باب صلاة المفضول في ظل وجود الفاضل، ويتولى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الإمامة، وتحمل الأحاديث السابقة على لحظة نزول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد يكون ذلك في حال كون الإمام غير المهدي،

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا، ح (١٥٦).
(٢) أخرجه أحمد، ح (١٥١٥٦)، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) الفتن، لنعيم بن حماد (٢/ ٥٦٧).
(٤) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا، ح (١٥٥).

أما إذا كان الإمام المهدي فتكون الإمامة له.

وفي حديث البخاري قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا** }(١)، فيه دلالة واضحة أنه لا سلطان يومئذ ولا إمام ولا قاضي غير عيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، ويكون حاكمًا بشريعة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كحاكم من حكَّام هذه الأمَّة (٢).

• ويمكن الجمع: بأن عيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ ينزل في آخر عهد المهدي، فلا يصلي به لخصوصية المهدي، وإمامته بعيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ تناسب مقامه الرفيع كمُجدِّد أعظم في أمَّة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم يَتولَّىٰ عيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ الأمر بعد وفاته.

• ويمكن القول أيضًا: إن الإمامة تبقىٰ للمهدي، لكنه يُراجِع عيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ؛ لذا جاز الحُكْمُ للاثنين في ذلك المقام، أو جاز نسبة الإمامة والحُكم لعيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ؛ لأنه المستشار في كل أمر يخصُّ الأمَّة، أما الحاكم الفعلي المباشر فيكون المهدي؛ لذا لا منافاة بين الأمرين، فالإمام هو خيرُ أولياء الله في الأرض، ومستشاره هو كلمة الله عيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.

ونسبة النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الحُكْم مرَّة لعيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ ومرَّة للمهدي يُعتبَر من باب إعطاء كل ذي فضل فضله، فإذا كانت مناسبة الحديث تبرز مرحلة نزول عيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ كانت نسبة الفضل والحكم له، أما إن كان السياق يتكلَّم عن المهدي كانت نسبة الفضل له.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ٤٣٠).

• **سيرة عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ**:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** }، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: « وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء] »، وفي رواية مسلم: { **وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ** }(١).

• وعنه أيضًا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ - يَعْنِي عِيسَى - وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ** (أي بين الطويل والقصير) **إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ** (ثوبين فيهما صفرة خفيفة)، **كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ** }(٢)،

وفي رواية: { **وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْإِبِلُ مَعَ الْأُسْدِ جَمِيعًا، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ح: (٣٤٤٨)، ومسلم: ك: الإيمان، ح (١٥٥).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٩٢٧٠)، وأبو داود: ك: الملاحم، ب: خروج الدجال، ح (٤٣٢٤)، وابن حبان في صحيحه، ح (٦٨٢١).

يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ }(١).

• ومما سبق يُستفاد أن في عهد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ستقع الأمور التالية:

١- انتهاء المِلل غير ملَّة الإسلام.

٢- عودة البركة، وانتشار الرخاء في الأرض.

٣- انتشار الأمن والسلام في الأرض، وفي هذا عبرة لنا، وهي أن صلاح الإنسان يترتَّب عليه صلاح كل شيء حوله.

٤- إحقاق العدل فببركة إقامة العدل يحصل الرخاء، وغير ذلك من الآثار الطيبة.

***

• **من سيرة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:**

(١) أنه يحج ويعتمر:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا** }(٢).

فَجِّ الرَّوْحَاءِ: مكان بين مكة والمدينة، وكان طريقَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بدر ومكة عام الفتح وحجَّة الوداع، و**يَثْنِيَنَّهُمَا**: أي يجمع بينهما، وهو القِرَانُ في الحج.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٩٦٣٢)، وابن حبان في صحيحه، ح (٦٨٢١).
(٢) أخرجه مسلم: ك: الحج، ب: إهلال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهديه، ح (١٢٥٢).

(٢) زواج عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ**:**

ورد في بعض الآثار أنه يتزوج من جُذام، ويُدفَن في الروضة النبوية بجوار النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) قدر بقاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ **في الأرض:**

صرَّحت بعض الأحاديث، كما في رواية مسلم في باب الفتن، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { ...**ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ..** }[١]، وفي رواية سابقة [٢] أنه يمكث في الأرض أربعين سنة.

• قال بعض أهل العلم، كابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « فَهَذَا مع هذا مُشكل، اللهم إلا إذا حُمِلَتْ هَذِهِ السَّبْعُ عَلَى مُدَّةِ إِقَامَتِهِ بَعْدَ نُزُولِهِ، وتكون مضافة إلى مدة مُكْثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور »[٣].

• وقال غيره: « لا تعارض؛ لأن رواية مسلم أشارت إلى أنه يمكث بين الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، فدلالتها على بيان حال الناس في مدَّة معيَّنة، وليس في الكلام تصريح بأن هذه السَّنَواتِ السَّبْعَ هي كل المدة التي يقضيها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نزوله؛ وإنما فهم ذلك من باب الإشارة، وليس بصريح العبارة، أما رواية أبي داود وأحمد وأصل الحديث عند البخاري فقد جاء فيها

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ح (٢٩٤٠).

(٢) أخرجها أحمد، ح (٩٢٧٠)، وأبو داود: ك: الملاحم، ب: خروج الدجال، ح (٤٣٢٤)، وابن حبان في صحيحه، ح (٦٨٢١).

(٣) الفتن والملاحم، لابن كثير (١/ ١٩٣).

بالتصريح أنه يمكث في الأرض أربعين سنة، بل سياق الحديث يدل على أن هذه المدة كلها بعد زواله، واستخدام حرف الفاء الدال على أن هذا المكث ترتيب على ما قبله وهو نزوله من السماء { **فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ** }.

ودلالة صريح العبارة مقدَّمة على دلالة الإشارة [١]؛ لذا يُرجَّح هنا أن بقاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نزوله أربعين سنة، وقد أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده الحديث السابق، وفيه: { **يَمْكُثُ عِيسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فِي الْأَرْضِ بَعْدَمَا يَنْزِلُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَمُوتُ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ** }[٢].

• فمُكْثُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعون عامًا،ومنها سبعة أعوام، وهي المدة التي بعد هلاك يأجوج ومأجوج مباشرة؛ حيث يكون الأمن والأمان والصلاح بصورة لم تُعهَدْ إلا في عهد نوح بعد الطوفان.

ففي زمان نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقع الطوفان، ثم عاد للأرض بركتها بعد هلاك كل أهل الباطل، وبعد هلاك يأجوج ومأجوج ينزل مطر أشبه بالطوفان يأخذ كل نتن وجيف يأجوج ومأجوج ويُلقيها في البحر، ويقود الأرض إلى بركتها بعد طهارتها من نتن أهل الباطل.

---

(١) انظر كتاب: أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي (١/ ٣٤٩).
(٢) مسند الطيالسي، ح (٢٦٦٤)، وانظر: عون المعبود (١١/ ٤٥٤).

الفصل السابع

يأجوج ومأجوج

أولاً: حقيقة يأجوج ومأجوج:

يعتبر خروج يأجوج ومأجوج من العلامات العِظام للسَّاعة، وهو خروج مخالف للمعهود أو التصوُّرات؛ كخروج الدابة، وخروج الشمس من مغربها. وقد وردت قصتهم في سورة الكهف.

• عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أُرَاهُ قَالَ - تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ** } فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ** }(١).

[فلو فرضنا أن الصحابة كان عددهم (١٠٠٠٠٠) (مائة ألف تقريبًا) يُقابلهم من يأجوج ومأجوج ١٠٠٠٠٠× ٩٩٩ = ٩٩.٩٠٠.٠٠٠ (تسعة وتسعون مليونًا وتسعمائة ألف). هو عدد يأجوج ومأجوج على وجه التقريب].

---

(١) أخرجه البخاري: ك: التفسير، ب: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾ [الحج:٢]، ح (٤٧٤١).

وهم من نسل نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ [١]؛ لأن الله تعالىٰ لم ينُج معه إلا مَن آمن به، ويأجوج ومأجوج من أهل النار.

• **وجاء وصفهم في بعض الآثار والأحاديث:**

كقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **إِنَّكُمْ تَقُولُونَ لَا عَدُوَّ وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، صُهْبُ الشِّعَافِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ** }[٢].

هذا الوصف مطابق لأوصاف المغول أو التتار أو الترك الوارد ذكرهم في أحاديث كثيرة، وينطبق هذا الوصف على أهل الجبال في منشوريا ومنغوليا وسهول سيبريا ووسط وشمال آسيا.

• عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: { **لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ** } وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: { **نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ** }[٣].

• وفي نظر بعض العلماء أن هذا التحذير قد وقع بهجمات المغول والتتار على بلاد العرب حتى زال ملكهم، وأُسقِطت الخلافة العباسية، وتحول الملك بعدها في أيدي

---

(١) وجاء في سفر التكوين – الإصحاح العاشر (١٦) أنهم من مواليد بني نوح. فصرحت التوراة أنهم من أبناء يافث بن نوح بعد الطوفان.

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٢٣٣١)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٨/ ٦)] عن ابن حرملة.

(٣) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: قصة يأجوج ومأجوج، ح (٣٣٤٦،٣٣٤٧).

العجم وقد تكون ـ والله أعلم ـ أن هذه أحد خَرَجات الترك أو يأجوج ومأجوج، ولهم خرجة نهائية بين يدي الساعة في عهد عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهي المقصودة في العلامات الكبرىٰ العشر، وهذه الخرجة يتأذىٰ منها كل أهل الأرض.

ثانيًا: نظرة تحليلة للآيات الخاصة بيأجوج ومأجوج:

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الكهف].

الصَّدْفَيْنِ: جبلين، **قِطْرًا**: النحاس المذاب، **خَرْجًا**: لما يخرجه الإنسان من ماله للغير علىٰ شكل جزية أو ضريبة، **رَدْمًا**: الرَّدْم هو السَّدُّ، والرَّدْمُ وضع الشيء علىٰ الشيء من حِجارة أو تراب أو نحوها حتىٰ يقوم بذلك حِجاب منيع.

• تُشيرُ هذه الآيات إلىٰ رحلة ذي القرنين نحو مطلع الشمس (مشرقها)، حيث صادف قومًا من الأقوام البدائية نسبيًّا، وليس لهم ما يَسترهم من حَرِّ الشمس.. ثم توجَّه إلىٰ ناحية أخرىٰ غير الشرق والغرب وأتبع سببًا نحو الجهة الشمالية ـ كما صرَّح الشوكاني في تفسيره [1]، حتىٰ وصل إلىٰ سِلْسلتين جبليَّتَيْنِ

---

(١) فتح القدير (٣/ ٣١١).

متوازيتين بينهما مَمَـرٌّ وحيد يربط بين الجهة الشرقية والغربية، وجد قومًا أقرب إلى الهَمَجِ، لا يُحسِنون الفهم والكلام، فطلب القوم من ذي القرنين أن يساعدهم على جعل سدٍّ بينهم وبين هذه الفئة المفسدة (يأجوج ومأجوج) الذين يخرجون من ثغرة بين الجبلين فيَعِيثُونَ فِيهِمْ فَسَادًا، وَيُهْلِكُونَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وأمدُّوه بالحديد والنحاس المذاب - بناء على طلبه منهم - حتى جعل سدًّا منيعًا يَقفِل هذا الممرَّ الجبلي التي كانت تدخل منه شعوب يأجوج ومأجوج نحو الغرب.

- هذا الرَّدْمُ (السَّدُّ) في ناحية الشرق، أو الشمال الشرقي.

- **من هو ذو القرنين؟**: تحديد شخصية هذا الرجل اجتهادية بغير جزم.

قال الشوكاني: « وَاخْتَلَفُوا فِي ذِي الْقَرْنَيْنِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَقِيلَ: هُوَ الْإِسْكَنْدَرُ ابْنُ فِيلِقُوسَ الَّذِي مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا الْيُونَانِيُّ بَانِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مصر، اسمه مرزبان بن مردبة الْيُونَانِيُّ، مِنْ وَلَدِ يُونَانَ بْنِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ. وَقِيلَ: هُوَ مَلِكٌ اسْمُهُ هُرْمُسُ، وَقِيلَ: مَلِكٌ اسْمُهُ هَرْدِيسُ، وَقِيلَ: شَابٌ مِنَ الرُّومِ، وَقِيلَ: كَانَ نَبِيًّا، وَقِيلَ: كَانَ عَبْدًا صَالِحًا، وَقِيلَ: اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ، وَقِيلَ: مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، مِنْ أَوْلَادِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأٍ. وَحَكَى الْقُرْطُبِيُّ عَنِ السُّهَيْلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الظَّاهِرَ مِنْ عِلْمِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُمَا اثْنَانِ: أَحَدُهُمَا كَانَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْآخَرُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقِيلَ: هُوَ أَبُو كَرِبٍ الْحِمْيَرِيُّ، وَقِيلَ: هُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ »(١).

- ويحتمل أن بعض الملوك أو العظماء قد استخدم هذا الاسم أو تكنَّى به تيمُّنًا

(١) تفسير فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٠٧).

بسيرة ذي القرنين الحقيقية، لما يحمله الاسم من معاني القوة والملك والعدل.

• والقول بأنه الإسكندر المقدوني ورد فيه أثر ضعيف، عقَّب عليه ابن حجر بقوله: « وَهَذَا لَوْ صَحَّ لَرَفَعَ النِّزَاعَ وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ وَاللهُ أَعْلَمُ »، وقد رجَّح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه مَلِكٌ كان في عهد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وساق بعض الآثار عن صحابة وتابعين تُشير إلى التقاء ذي القرنين بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكلها لا تَسلم من مقال [١].

• ذو القرنين هو الملك الفارسي قورش:

ذكر هذا القول (**أبو الكلام أزاد**) من علماء الهند، ونقله عنه سعيد حوىٰ في كتابه (الأساس في السنة، قسم العقائد)، وذكره حامد العولقي في بحث له بعنوان: (يأجوج ومأجوج أعراب آسيا وأقاصي الأرض)، وهذا القول يعتمد علىٰ ارتباط موضوع ذي القرنين بسؤال اليهود للنبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن ذي القرنين، وهذا يدل علىٰ أن اليهود يعلمون حقيقة ذي القرنين [٢]، ويرىٰ أصحاب هذا الرأي أن الممرَّ الجبليَّ هو بين سلسلتين ضمن القوقاز أو الهِمَلايا، كما يرون أن هذا السَّدَّ هو الذي حَدا بقبائل منغوليا ومنشوريا وسط آسيا للتوجُّه نحو الصين؛ مما اضطر ملك الصين لأن يبني سور الصين العظيم ليدفع عن بلاده تلك الهجمات.

ويقولون: إن هذه القبائل كان لها عدة هجمات علىٰ الحضارات حولها منها: ـ

ـ هجمة نحو آسيا الصغرىٰ.

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٤٠).

(٢) انظر: الكتاب المقدس، سفر دانيال، الإصحاح الثامن (١٢٧٧، وما بعدها).

ـ هجمة نحو آسيا الغربية.

ـ هجمة نحو الصين.

ـ هجمة نحو أوروبا أنهت الإمبراطورية الرومانية بقيادة أتيلا.

ـ هجمة نحو بلاد العرب بقيادة جنكيز خان أنهت الخلافة العباسية.

واستدلوا ببعض الأشعار العربية، - وقد ذكرها ابن حجر - في تمجيد ذكر الرجل الذي خلَّص الشرق من ظلم البابليِّين.

لذلك يؤكدون أنه قُورش أو خورس الملك الفارسي، ويزعمون أن هذه القبائل (يأجوج ومأجوج) هي قبائل بربرية كانت تقيم في مناطق: منشوريا ومنغوليا وسيبيريا وهضبة التبت، وهي تمثل نصف قارة آسيا تقريبًا.

[وكل هذه الأقوال اجتهادات لا نستطيع الجزم بإحداها، وقصة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج من الغيب الذي لا نقبل الجزم به إلا من طريق الوصف فقط].

• واستواء السَّدِّ بالأرض إنما هو بقدر الله وحده، وليس بسبب نقب يأجوج ومأجوج له، كما جاء في بعض الروايات الضعيفة.

• عن النوَّاسِ بنِ سَمْعانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث مطوَّل جاء في آخره: { **فَيَطْلُبُهُ (أي الدجَّال) حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ،**

وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ }(١).

• يلاحظ من مجموع أحاديث المهدي والدَّجَّال ويأجوج ومأجوج أن مركز الصراع العالمي في آخر الزمان هو بلاد الشام، والعجيب في الماضي أن أساطين الباطل دائمًا يُستدرَجون إلى الأرض المقدسة لتكون نهايتهم فيها.

ففي الماضي كانت موجة التتر أو المغول المخيفة والتي انتهت عندما استُدرِجوا

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ح (٢٩٣٧).

إلىٰ بلاد الشام، حيث كانت المعركة الفاصلة في عين جالوت، وكذلك الرُّوم استُدرِجوا إلىٰ هذه البلاد إلىٰ أن كانت الضربة القاصمة في حِطِّين، والرُّوم في آخر الزمان يَستجمِعون كلَّ قوتهم ويُستدرَجون إلىٰ الملحمة العظمىٰ في الشام، حيث تكون نهايتهم المَهينة،وكذلك الدَّجَّال يُستدرَج إلىٰ تلك الأرض ليَلْقَىٰ وشيعتُه مصيرَهم فيها، وكذلك يأجوج ومأجوج الذين يَعيثون فسادًا في كل الأرض يُستَدرَجون إلىٰ الأرض المقدسة ليلقوا نهايتهم فيها، وكانت الأرض المقدَّسة (الشام) هي مقبرة كل جبابرة الأرض.



الفصل الثامن

علامات نهاية البشرية

أولاً: طلوع الشمس من مغربها:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف].

هذه الآية فيها إشارة إلى خروج يأجوج ومأجوج، ونهاية أجل الرَّدْم الذي بناه ذو القرنين، وفيها إشارة إلى انقضاء الدنيا بعد ذلك، ويوم خروج يأجوج ومأجوج يموج الناس بعضهم في بعضٍ، في اختلاف وتهارج إلى أن تقوم الساعة. هذا طبعًا بعد السنوات المباركة التي يعيشها المسلمون في رغَد مع نبيِّ الله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويبدأ على حقيقته بعد طلوع الشمس من مغربها، « إذ يأتي على الناس لَيْلَةُ قَدْرِ ثَلَاثَ لَيَالٍ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْمُتَهَجِّدُونَ يَقُومُ فَيَقْرَأُ حِزْبَهُ ثُمَّ يَنَامُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَقْرَأُ ثُمَّ يَنَامُ ثُمَّ يَقُومُ فَعِنْدَهَا يَمُوجُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ حَتَّى إِذَا صَلَّوُا الْفَجْرَ وَجَلَسُوا فَإِذَا هُمْ بِالشَّمْسِ قَدْ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا فَيَضِجُّ النَّاسُ ضَجَّةً وَاحِدَةً حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ رَجَعَتْ، وَيُنَادِي الرَّجُلُ جَارَهُ يَا فُلَانُ مَا شَأْنُ اللَّيْلَةِ لَقَدْ نِمْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَصَلَّيْتُ حَتَّى أُعْيِيتُ » (١).

أما مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فَيَقُولُ:« مَا نُبَالِي إِذَا رَدَّ اللهُ ضَوْءَهُ عَلَيْنَا مِنْ حَيْثُ مَا طَلَعَتْ، مِنْ مَشْرِقِهَا أَوْ مَغْرِبِهَا، قَالَ: فَيَسْمَعُونَ نِدَاءً مِنَ السَّمَاءِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ قُبِلَ مِنْكُمْ إِيمَانُكُمْ، وَرُفِعَ عَنْكُمُ الْعَمَلُ، وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ أُغْلِقَ عَنْكُمْ

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٦٣).

أَبْوَابُ التَّوْبَةِ »(١).

• وقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام].

هذه الآية صريحة في أنه بعد مجيء بعض آيات الله سبحانه وتعالىٰ لا ينفع نفسًا الإيمان بعدها، ما لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا، وقد جاء التصريح في الأحاديث أن بعض الآيات المقصودة هنا هي طلوع الشمس وخروج الدابة.

• عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: { **مَا تَذَاكَرُونَ؟** } قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: { **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** }(٢).

• هذا الحديث صريح علىٰ أن طلوع الشمس وخروج الدابة من العلامات العشر العِظام بين يدي الساعة.

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لاَ تَقُومُ**

---

(١) انظر: كتاب الفتن لنعيم بن حماد، ح (١٨٤٣)، وكتاب العظمة للأصبهاني (٤/ ١١٧٣).
(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح (٢٩٠١).

السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا }، ثُمَّ قَرَأَ الآيَةَ (١).

• وهذا الحديث صريح بأن باب التوبة يقفل بعد طلوع الشمس من مَغربها.

وفي رواية: { وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُما بَيْنَهُمَا، فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا }(٢)، وفي رواية عنه أيضًا: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ }(٣).

• عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ، قَالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا، عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ، لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا }(٤).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: تفسير القرآن، ب: ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾، ح (٤٦٣٦)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح (١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الرقاق، ب: طلوع الشمس من مغربها، ح (٦٥٠٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح (١٥٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه: ك: الفتن، ب: طلوع الشمس من مغربها، ح (٤٠٧٠) واللفظ له، وحسَّنه الألباني، والترمذي في الدعوات، ح (٣٦٠١)، وقال: حسن صحيح.

ثانيًا: خروج الدابة:

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل].

هذه الآية تُشيرُ إلىٰ الدابة التي تخرج كعلامة من علامات الساعة، وخروجها مرتبط بوقوع القول علىٰ الناس، ومعناه: إذا وجب العذاب، وقيل المراد: ما نطق به القرآن من مجيء الساعة وأشراطها وما فيها من أحوال، وقيل: وقع القول بموت العلماء وذهاب العلم، وقيل: إذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

• وهذه الدابة تخرج من الأرض، وهي بذلك شبيهة بآية صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهي دابة عظيمة لا يعلَمُ كُنْهَها إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

أما عن مكان خروجها فلا أعلم نصًّا صحيحًا صريحًا في مكان خروجها(١)، وهو من باب العلم الذي لا ينفع، واختلف العلماء في طبيعة كلام الدابة، قيل تكلمهم ببطلان الأديان سوىٰ دين الإسلام، وقيل تكلمهم بما يَسوؤهم، وقيل تكلمهم بقوله تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل]، وتكلِّمهم بالعربية.

• عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا** }(٢).

---

(١) إن صح الخبر عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبل، وإلا لم يلتفت إليه.

(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: خروج الدجال ومكثه في الأرض، ح (٢٩٤١).

وقد يُفهَم من هذا الحديث أن هاتين العلامَتَين هما أول الآيات العَشر، بل قد يكون المراد أول الآيات غير المعهودة على شكل غريب غير مألوف، فالدابة تكلم الناس، وتَسِمُ الكافر والمؤمن، وقد تكون أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها يعتبر أول الآيات السماوية.

• وقد ذكر ابن حجر عن الحاكم قوله: « الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ يَسْبِقُ خُرُوجَ الدَّابَّةِ ثُمَّ تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوِ الَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ ».

وعقَّب ابنُ حجر على ذلك لقوله: « وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ يُغْلَقُ بَابُ التَّوْبَةِ فَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ تُمَيِّزُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ تَكْمِيلًا لِلْمَقْصُودِ مِنْ إِغْلَاقِ بَابِ التَّوْبَةِ »(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَةَ أَحَدِكُمْ** }(٢).

وعنه أيضًا: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ، وَتَخْتِمُ أَنْفَ الكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخُوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ: هَاهَا يَا مُؤْمِنُ، وَيُقَالُ: هَاهَا يَا كَافِرُ، وَيَقُولُ: هَذَا يَا كَافِرُ، وَهَذَا يَا مُؤْمِنُ** }(٣).

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٦١).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في بقية من أحاديث الدجال، ح (٢٩٤٧).

(٣) أخرجه أحمد، ح (١٠٣٦١)، والترمذي: أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة النمل، ح (٣١٨٧)، وقال عنه حسن.

فالحكمة من خروج الدابة هو تمييز المؤمن من الكافر بعلامة مميزة قبل قيام الساعة، والعلامة هو الخطم أو الوَسْم على أنف الكافر، واختيار الأنف، لأنه علامة على الأَنَفَة والكِبْرِ، وهي من باب قول الله تعالى في حق بعض متكبِّري مكة كالوليد بن المغيرة أو الأخنس بن شريق ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ۝١٦﴾ [القلم]، وهذا الوَسْمُ يكون من باب التَّمييز الحِسيِّ الذي يكشِف عن باطن صاحبه وعاقبته، والمؤمن ينال السَّنا والتجلية في وجهه، بحيث يظهر عليه نور الإيمان جليًّا واضحًا

ثالثًا: خراب الكعبة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَيُحَجَّنَّ البَيْتُ، وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ** }(١).

في هذا الحديث إشارة إلى أن خراب الكعبة بعد يأجوج ومأجوج، ويحتمل بعد خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، حيث تبدأ إرهاصات النهاية، وأوَّلُها خراب البيت، ثم رفع القرآن، ثم الريح اللِّينة التي تقبض الأرواح المؤمنة، ثم لا يبقى إلا شرار الخلق.

• وعن أبي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ** }(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾، ح (١٥٩٣).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٧٩١٠)، والحاكم، ح (٨٣٩٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

هذا الحديث يبيِّن بيعة لرجل بين الركن والمقام، وقد يُراد بها المهدي، كما يبيِّن استحلال البيت من أهل الإسلام، أو من المنتسبين إليه، وهذا من دلائل النبوة، حيث وقع استحلال البيت في عهد الأمويين، وفي زمن القرامطة، وبيَّن الحديث أن هذا الاستحلال الأخير سيكون مؤْذِنًا بهلاك العرب بعده.

كما بيَّن الحديث أن هدم البيت واستباحته وسلب كنزه سيكون على يد الحبشة بين يدي الساعة، وبعده لن يعمر بعده البيت؛ مما يُشير إلى أن ذلك سيكون بعد يأجوج ومأجوج.

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ** }(1)، وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا** }(2).

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا، وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصَيْلِعَ أُفَيْدِعَ، يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ** }(3).

أُصَيْلِعَ: تصغير كلمة أصلع، وهو الذي لا شَعر في رأسه.

---

(1) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: قول الله تعالى: ﴿**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ**﴾، ح (1591)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، ح (2909).

(2) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: هدم الكعبة، ح (1595).

(3) أخرجه أحمد، ح (7053)، وإسناده صحيح، ومصنف ابن أبي شيبة، ح (37228)، ومصنف عبد الرزاق، ح (9179).

أُفَيْدِعَ: زيغ بين القدم مع عظم الساق.

• عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ إِلَّا ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ }**(١).

• جاءت الأحاديث بأوصاف هذا الرجل « **ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ** » بصيغة التصغير تحقيرًا له، ومن الملاحظ أن فكرة هدم الكعبة في الماضي كانت من نصيب أهل الحبشة أيام أبرهة (وحادث الفيل)، ولم يتم لهم ذلك بحفظ الله لها، وفي آخر الزمان يتم هدم البيت على يد الحبشة أنفسهم، وكأنهم توارثوا فكرة هذا الجرم، وتم لهم ذلك عند انتهاء أجل البيت الحرام في الأرض.

وبهدم أول بيت وضع للناس هُدِمَت كل معاني بقاء البشرية على الأرض؛ لذا تتسارع أحداث النهاية بعد ذلك.

ولم يتبين لنا الدوافع التي عند الحبشة في آخر الزمان لهدم البيت، ولعلها شبيهة بدوافع أبرهة، حيث تعود الجاهلية كهيئتها الأولى.

رابعًا: الريح اللينة التي تقبض أرواح المؤمنين:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ »، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **{ لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ**

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٣١٥٥)، وأبو داود: ك: الملاحم، ب: النهي عن تهييج الحبشة، ح (٤٣٠٩)، والحاكم في المستدرك، ح (٨٣٩٦)، وقال: صحيح الإسناد، وحسَّنه الألباني.

خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ}، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، { ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ }(١).

• وهذه الريح في الأغلب ـ والله أعلم ـ بعد خراب البيت أو قبله بقليل.

• وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى } فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة]، أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا. قَالَ: { إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ }(٢).

• في هذا الحديث تصريح على أن للإسلام جولة ثانية يعمُّ فيها الدِّين جميع الأرض، وتبطل معه المِلَلُ الأخرى، وهذا سيكون في عهد المهدي وعيسى عليهما السلام، ثم يبعث الله ريحًا تقبض أرواح المؤمنين أو من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ثم تعود الجاهلية إلى صورتها الأولى، وهي أسوأ مرحلة تمر بها الكرة الأرضية حيث خلت من التائبين والمستغفرين والصالحين.

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ح (١٩٢٤).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخَلَصَةِ، ح (٢٩٠٧).

رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحُرِيرِ، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ}(١).

• هذا الحديث يُشيرُ إلى أن مبعث هذه الريح من جهة اليمن، ويُتصوَّر وقوع ذلك بعد طول الشمس وخرج الدابَّة؛ حيث إن باب التوبة قد أُقفل؛ لذا لا يُتَصَوَّرُ بقاء المؤمنين بعد ذلك كثيرًا.

وفي حديث الدَّجَّال الطويل عَنْ عَبْدِ الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.«...فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ»، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ }**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: في الريح التي تكون قرب يوم القيامة، ح (١١٧).
(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ح (٢٩٤٠).

• هذا الحديث يُشيرُ إلى خروج الريح من قبل الشام، وفي هذا دليل أنها تخرج من أكثر من مكان، وتلك الريح تكون بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن وقوعها بين يدي الساعة ـ كما رود في أحاديث أخرى ـ .

خامسًا: على من تقوم الساعة:

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ** }(١).

• عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى** } فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣** ﴾ [التوبة]، أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ: {**إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ** }(٢).

• وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا** }، فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: ذهاب الإيمان آخر الزمان، ح (١٤٨).
(٢) سبق تخريجه.

وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا »(١).

• وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ }**، وَذُو الخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ (٢).

• وعَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ }**(٣).

• وعَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ }**(٤).

• عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَتَسَافَدُوا فِي الطَّرِيقِ تَسَافُدَ الْحُمِيرِ }** قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ لَكَائِنٌ؟ قَالَ: **{ نَعَمْ لَيَكُونَنَّ }**(٥). **تَتَسَافَدُوا**: السِّفاد هو نَزْوُ الذكَرِ على الأنثى.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ك: الفتن، ب: ذهاب القرآن والعلم، ح (٤٠٤٩)، بإسناد صحيح، والحاكم، ح (٨٤٦٠)، وقال صحيح على شرط مسلم، وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، ح (٧١١٦)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخَلَصَةِ، ح (٢٩٠٦).

(٣) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: قرب الساعة، ح (٢٩٤٩).

(٤) أخرجه أحمد، ح (٣٨٤٤)، وقال العدوي: صحيح لغيره [المسند الصحيح (٥٦٧)].

(٥) أخرجه ابن حبان في موارد الظمآن، ح (١٨٨٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه، ح (٣٧٢٧٧)، وقال العدوي: صحيح [الصحيح المسند (٣٩٦)].

وعند مسلم: **{...وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ}**(١).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَيْ يُجَامِعُ الرِّجَالُ النِّسَاءَ بِحَضْرَةِ النَّاسِ كَمَا يَفْعَلُ الْحَمِيرُ وَلَا يَكْتَرِثُونَ لِذَلِكَ »(٢).

• وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَفْنَى هَذِهِ الْأُمَّةُ حَتَّى يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ فَيَفْتَرِشَهَا فِي الطَّرِيقِ، فَيَكُونَ خِيَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَقُولُ لَوْ وَارَيْتَهَا وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ }**(٣).

في هذه الأحاديث وصف حال الناس الذين تقوم عليهم الساعة، حيث يعودون إلى جاهليتهم برموزها، وتعود عبادة اللات والعزَّى وذي الخَلَصة، وهم أكثر أهل الأرض شَرًّا على وجه العموم، ومع كفرهم إلا أن حُطام الدنيا الفاني يُيَسَّر لهم، وهذا من باب مَدِّهم في الطُّغيان، وتنتشر الفاحشة بينهم حتى في الطُّرُقات، وتُرفَع كل أشكال العبادة في ذلك الزمان حتى لا يبقَى في الأرض من يقول كلمة « **الله** »، وهذا فيه إشارة إلى إطباق البشر على الكفر في الأرض، ودليل على فساد الفطرة.

وقد عهدنا في عصرنا عند الغرب، وفي بعض القرى السياحية والمنتزهات وشواطئ العُراة وعلى الشواطئ صور شبيهة لحال آخر الزمان، ومن الملاحظ أن غاية الإنكار يكون بطلب المداراة بالفاحشة، وهذا يُشيرُ إلى استمكان المنكر

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ح (٢٩٣٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٧٠).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (٦١٨٣)، وقال العدوي: إسناده حسن [صحيح المسند (٣٩٧)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٣١): ورجاله رجال الصحيح.

وفساد الفطرة لدرجة مثل البهائم أو أحطّ. وهؤلاء وأمثالهم يتناسب فيهم أن يذوقوا صدمة وهول الحشر والصعقة الأولى.

سادسًا: خروج نار من اليمن تسوق الناس:

(١) النار الحاشرة هي أول علامات الفناء وقيام الساعة:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « بَلَغَ عَبْدَ الله بْنَ سَلاَمٍ مَقْدَمُ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ }**. قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الله: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا }** قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ الله البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ الله بْنُ سَلاَمٍ }**. قَالُوا أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **{ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ الله }** قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ الله إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ »(١).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ح (٣٣٢٩).

• هذه النار تمثل حلقة الوَصْل بين العلامات العِظام وعلامات الفناء (فناء الدنيا)، فعن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: « اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: **{مَا تَذَاكَرُونَ؟}** قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: **{ إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ }**(١).

وقد سبق شرح هذا الحديث، لكن الشاهد فيه هنا أن علامة النار الحاشِرة تكون في الدنيا، وتستمر مرحلة في حشرها للناس أو سوقها لهم نحو أرض المحشر؛ أي أن هذه النار تحشر الناس وهم أحياء نحو بلاد الشام، ولا يراد بها الحشر بعد البعث ـ والله أعلم ـ.

(٢) مكان خروج النار الحاشرة وصفتها:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ }** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: **{ عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ }**(٢).

• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ،**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح (٢٩٠١).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٤٥٣٦)، والترمذي: أبواب الفتن، ب: ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز، ح (٢٢١٧)، وقال: حسن صحيح غريب [تحفة الأحوذي (٦/ ٤٦٣)].

وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا }(١).

• عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ: يَا بَنِي غِفَارٍ، قُولُوا: وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ حَدَّثَنِي: **{ أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفْوَاجٍ: فَوْجٌ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجٌ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ، وَفَوْجٌ تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَتَحْشُرُهُمْ إِلَى النَّارِ }** فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: هَذَانِ قَدْ عَرَفْنَاهُمَا، فَمَا بَالُ الَّذِينَ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ؟ قَالَ: **{ يُلْقِي اللهُ الْآفَةَ عَلَى الظَّهْرِ حَتَّى لَا يَبْقَى ظَهْرٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ الْحَدِيقَةُ الْمُعْجِبَةُ، فَيُعْطِيهَا بِالشَّارِفِ ذَاتِ الْقَتَبِ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا }**(٢).

ظَهْرٌ: ما يركب عليه كالناقة ونحوها، والشارف: الناقة المُسِنَّة.

• في هذا الحديث إشارة إلى أن هذا الحدث يُراد به الحشر في الدنيا؛ لأنه ذُكِر فيه الدوابُّ، وأن الإنسان على استعداد للمساومة بحديقته مقابل ناقة مسنَّة يذهب بها نحو الشام، وهذا لا يكون إلا في الدنيا.

• وفي الأحاديث إشارة أن النار ملازمة لهم، تبيت إذا باتوا، وتَقِيل إذا قالوا، وتُصبح إذا أصبحوا، وهذه الملازمة قد يُقصَد منها ـ والله أعلم ـ تحويل حياة البشر إلى حالة من النَّكَد في كل الأرض ليتوجَّهوا نحو بلاد الشام، وقد تستمر هذه النار مدَّةً؛ لذا نجد أن أول مَن ينتبه لشرِّها يستعِدُّ للرحيل، فيجد الدوابَّ

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الرقاق، ب: كيف الحشر، ح (٦٥٢٢)، ومسلم: ك: الجنة وصفة نعيمها، ب: فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ح (٢٨٦١).
(٢) أخرجه أحمد، ح (٢١٤٥٦)، وقال العدوي: صحيح [الصحيح المسند (٥٦٠)].

التي تحمله نحو الشام، أما من يتأخَّر فيُحرَم من الدوابِّ؛ لذا يُحشَر نحو الشام ساعيًا أو ماشيًا.

(٣) آخر مَن يُحشَر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يَقُولُ: **{ يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لاَ يَغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِ - يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ - وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يُرِيدَانِ المَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ، خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا }**[1].

• هذا الحديث يتضمن خروج أهل المدينة، وبيان آخر مَن يُحشَر، وأن هذين الراعيَين من مُزَينةَ هم آخر مَن يُحشَر أو يُصعَق بين يَدي الساعة.

• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: **{ تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ، فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ، فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ }**[2]، والحديث فيه إشارة إلى مباغتة الساعة للناس، وهم في أعمالهم وآمالهم.

***

(١) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: من رغب عن المدينة، ح (١٨٧٤)، ومسلم: ك: الحج، ب: في المدينة حين يتركها أهلها، ح (١٣٨٩).
(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: قرب الساعة، ح (٢٩٥٤).

سابعًا: الحث على العطاء حتى اللحظة الأخيرة من الدنيا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ** }(١).

والفَسِيلَةُ: هي النخلة الصغيرة.

• هذا الحديث الذي نختم بها هذه السلسلة من المواضيع الهامة حول علامات الساعة والفتن والملاحم ونهاية زمان الدنيا فيه إشارات عجيبة منها: ـ

١ـ أن الإسلام رسالة للعطاء حتى في أحلكِ الظُّروف.

٢ـ أن الشدائد والفتن أو الفساد المستشري قبل قيام الساعة ليس مَدعاة للخمول والدَّعة والراحة والكسل، أو ترك العمل، أو التهاون فيه.

٣ـ أن المسلم يبقَى مُكلَّفًا ما دامت الروح تجري في جسده.

٤ـ أن المسلَّم مُكلَّف بالعَمل الدَّءوب دون انتظار النتائج، ودون تأثُّرٍ بالمُعوِّقات حولَه.

٥ـ الخطاب مُوجَّه هنا للمؤمنين، والساعة لا تقوم إلا على شِرار الخلق مما يشير إلى أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ والله أعلم ـ إنما ذُكِر ذلك من باب التعليم والتحفيز والتربية، ومن باب التمثيل لا الحقيقة، ويقصد به حثُّ المسلمين على العمل، وعلى العطاء، وطرد شبح اليأس والقنوط والكسَل والأماني الخادعة الكاذبة.

٦ـ أمرُه بزراعة الفَسيلة مع علمه أنه لن ينال من ثمَرِها، بل لن يكتب لها الاستمرار توجيه نبويٌّ عظيم أن الله تعالى يجزي على النوايا والأعمال، وليس على

(١) أخرجه أحمد، ح (١٢٩٨١)، قال العدوي: صحيح [الصحيح المسند (٥٦٣)].

النتائج والثمرات.

٧- اتِّباع الوحي طريق الحق، واتِّباع الهوَىٰ طريق الضلال، فنحن مأمورون بالاتِّباع حتىٰ ولو لم تصل عقولنا إلىٰ الاقتناع، فالخير كل الخير في اتِّباع الوحي الذي لا يأمرنا إلا بالخير والنفع لنا في الدنيا والآخرة.

٨ - يعلِّمنا هذا الحديث أن هناك أعمالًا نعملها في الدنيا من أجل الطاعة لله ورسوله، ولكننا لن نجد حسناتها إلا في الآخرة بشرط أن نعملها خالصة من الرياء والنظرة وحب المدح (ثناء الناس)، أو لفت أنظارهم، أو طلبًا لرضاهم، أو الشهرة أو المالِ؛ أي خالصة لوجه الله الكريم، وتكون طاعة لله ولرسوله.

٩- كما يعلِّمنا هذا الحديث الجليل أن الأعمال ثلاثة: طاعة (فرض أو سنة)، ومباح: (كالطعام والنكاح والنوم والعمل)، ومعصية: (الوقوع فيما نهىٰ أو حرم الله ورسوله من المحرمات والمحظورات والمكروهات).

والطاعة والمباح قد يكونان معصية بالنيَّة حين تُصرَف لغير الله ﷻ، أما المعصية فلا تكون صالحة بالنية أبدًا.

ولكن الأعمال المباحات تكون طاعات إذا تتبَّعْتَ فيها هَدي النبيِّ ﷺ، والله ﷻ لا يعطي العبد أي حسنة في ميزانه وسجلاته إلا إذا توافقت مع هَدي وتعاليم النبيِّ ﷺ، فالمباحات لا أجر ولا وزر إلا عند اتباع السُّنَّة فيؤجر عليها حسنات.

مثل الطعام: إذا كان حلالًا طيبًا، وتسمي الله قبل الأكل، وتحمده بعده، وتأكل بثلاثة أصابع، ومِن أمامك، وتتجنَّب الإسراف والمحرَّمات فيه، نِلْتَ الأجر

والحسنات وصار عبادة، وهكذا النوم والعمل؛ لذا يُرشِدنا هذا الحديث إلىٰ أن أعمال الدنيا التي فيها متابعة للرسول ﷺ تنفع العبد عند الخاتمة، كما تنفع الطاعة عند الخاتمة، فهي من الخاتمة بالخير للعبد.

١٠ـ هذا الحديث يذكِّرنا كما ذكَرْنا في المقدمة في فائدة تعلُّم أشراط الساعة والفتن والملاحم أنه لابد من شَحْذِ الهِمَمِ وحسن التوكل، وقوة الاستعداد، وإعداد القوة، وعدم اليأس من غلَبة الكفر حينًا، فلا يظهر باطل ولا يُغلَب حقٌّ إلا في غفلة من أهل الحق، وتقصير منهم في طاعة الله ورسوله، أو مخالفة منهم.

• لقد بيَّن لنا الحق ﷻ أن الذين كفروا لا يُعجِزون الله ﷻ، ولا يُعجِزون أهل الإسلام الحق، ولكنَّ سببَ سبقِهم وغلبتهم هو إهمال أهل الحق للإعداد لما أعطاهم المولىٰ ﷻ من أسباب القوة، وبسبب تكالبهم علىٰ الدنيا وتنافسهم فيها (١)، ولا غَلَبةً لهم إلا بقدر الله ومشيئته ووفق سُنَّتِهِ ونواهيه.

فليست دراستنا لهذا العلم تسكينًا للنفس، أو تثبيطًا للهمة، أو دعوة للانتظار والرضى بالهوان والذلِّ، والاستسلام للواقع، أو تركًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاعتقاد عدم الفائدة أو التأثير، أو تركًا للاستعداد للجهاد والقتال مداهنةً للكفار، أو تركًا للولاء والبراء خصوصًا للتبعية... وغير ذلك من السلبيَّات؛ إنما نقصد بدراستنا لهذا العلم: تعميق الثقة بالله وحُسن الظن به، واليقين بوعده، والاعتزاز بهذا الدين، والعمل علىٰ رفعته وعُلُوِّه، وبذل الجهد وكلِّ غالٍ ونفيس لنصرته ونشره والدعوة إليه.

---

(١) لقد بسطنا القول في أسباب أمراض الأمة من [الفرقة والاختلاف، والغثائية، وحب الدنيا وكراهية القتال].

• إن المؤمن الحقَّ لا يَهون، ولا يَنبغي له أن يُذِلَّ نفسه، أو يُنتَقَص من الدين وهو حَيٌّ، أمله وطموحه وشوقه وفكره وعينه على الجنة ورضا ربه تعالى، ولا يبغي عنها حولًا.

***

•الخاتمة:

اللهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، يا مَنْ بيدِه مَلَكوتُ كلِّ شَيءٍ، وهو يُجيرُ ولا يُجارُ عليه، يا مَنْ له الخلقُ والأمرُ، يا مَن تقدَّسَتْ أسماؤه: أنتَ الخالِقُ والمالِكُ والربُّ والمُعطي والغَفورُ... وأنا المَملوكُ العبدُ السائلُ المخطِئُ.

• لك الحمدُ كلُّه، ولك الفضلُ كلُّه، وبيدك الخيرُ كلُّه، وإليك يُرجَع الأمرُ كلُّه، سِرُّه وعلانيتُه وأوَّلُه وآخِرُه.

أحمدُك فأنت المستحقُّ بالحمد كله، أحمدُك بالذي أنت أهلُه، ذاكرًا نعماءَك ومقامك وجلالك، شاكرًا لآلائك، ونعمائك وسترك وعطائك.

• إلهي بعد هذه الجولة المباركة في بستان وحيك.. ها أنا ذا أقف على باب العبودية لك وحدَك مُتَسَرْبِلًا ثوب العجز والتقصير، مُقِرًّا بجهلي، مُعترِفًا بغَفلتي، عاجِزًا عن شكرك أو الثناء عليك بما يَليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك.

• سبحانك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت عل نفسك.

• اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على محمدٍ عبدِك ونبيِّك ورسولِك، المبعوثِ رحمةً

للعالمين، وعلىٰ آله وأصحابِه الغُرِّ الميامين، وعلىٰ كل مَن تمسَّك بسُنَّتِه واتَّبع نهجَه ووالاه إلىٰ يوم الدين.

اللهم اجعلنا ممَّن يتَّبعون هديَه في الدنيا، ويَرِدون حوضَه يوم القيامة.

• هذه الجولة المباركة التي قضيتُ فيها وقتًا طويلًا متأمِّلًا الوَحْيَيْنِ (الكتاب والسنة) في موضوع من أهم مواضيعها أجِدُ نفسي قد وصلت إلىٰ هذه النتائج: ـ

١ـ هذا الباب العظيم من أبواب الدِّين يعتبر من أعظم دلائل نبوة محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وفيه إشارة قطعية دالة علىٰ خلود رسالته وعمومها.

٢ـ لا يظن القارئ الكريم أنني خلال هذا الكتاب قد بلغت مدىٰ هذا العلم الجليل أو أحطته من جميع جوانبه؛ بل الحقيقة التي وصلت إليها أنني كمثل رجل وجد نفسه أمام ربوة فصعدها، فرأىٰ خلفها بحرًا عظيمًا لا يُدرَك منتهاه، فعمد إلىٰ القوم يبلغهم عن تلك النظرة، أما حقيقة البحر ومكوناته ومحتوياته والعوالِم فيه وعجائب خلق الله عَجَّلَ، فلم أبلغ منها شيئًا إلا ما دفعني الله تعالىٰ إليه.

لكنني خرجت من هذه التجربة بإحساس عميق بمدىٰ جلالة وعظمة وأهمية هذا العلم، ولعل الله عَجَّلَ أن يوفقني للغَوْص فيه عبر تجارب أخرىٰ، وكلامي هذا لا يُنقِص من قيمة هذا السِّفْر، لأنني أظنه تجربة أوليَّة جيِّدة بفضل الله تعالىٰ، ولَبِنَةُ أساس في صرحه العظيم.

٣ـ من أهم النتائج التي وصلت إليها أن الأيام القادمة فيها مفاجئات كثيرة جدًّا تفوق تصوُّرات الناس، وتحتاج إلىٰ إعدادها، وأكثر الناس عنها غافلون، أما الأحداث الطبيعية والسياسية والاجتماعية والنفسية التي نعيشها حاليًا فلم تكن

بمنأىٰ عن الوحي (كتاب وسنَّة)، لكن غابت البصيرة عن الكثيرين.

٤ـ ما هو دور المسلم تجاه هذه الأحداث والإرهاصات؟

والجواب: زيادة يقينه وتصديقه لما جاء به هذا الدين العظيم، وأن يستمرَّ قوة وثباتًا علىٰ الحق الذي تميَّز به، مع القيام بدوره المنوط به من العلم والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد بالحق، هو ومَن هو علىٰ شاكلته، وإن التبس عليه الحق والباطل فليعتزل تلك الفرقَ كلَّها إن لم تجتمع علىٰ إمام واحد، والإخلاص لله ﷻ، واتِّباع السنَّة والتمسُّك بها فإنها حِرْزٌ وقت الفتن، وإتقان عمله وتحسينه وتنظيمه وتوزيع وقته بين حقوق ربه تعالىٰ وحق رسوله وحقوق الناس وحقوق بدنه وآله، وأن يكثر من الدعاء ﴿**قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾**﴾ [الفرقان]، وأن يكثر من الاستغفار والاستعانه بالله تعالىٰ، وطلب النجاة من الفتن وحسن الخاتمة.

٥ـ يدور الزمان، وتتشابه الأحداث، خرجت ناقة صالح من الجبل في عهد صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وستخرج الدابَّة الجسَّاسة آخرَ الزمان، طفَّف الناس الميزان في زمن شُعيب، وفعل قوم لوط فاحشتهم، وها هو أهل هذا الزمان يخرجون علينا بإباحة الشواذ، وإجراء العقود بين الرجال والرجال وفاحشة قوم لوط، والنساء بالنساء (السِّحاق)، وسيتكرَّر حدث أبرهة الأشرم ويأتي آخر الزمان ذو السُّوَيْقَتَيْن الحبشي لهدم الكعبة، ويكون الدجَّال آخرَ الدجَّالين الكذَّابين حيث ادَّعَوْا النبوة والإلهية، والمؤمن المتدبِّر لكتاب الله وسنة رسوله هو الذي لديه البصيرة في مثل هذه الأمور تمامًا كما كان المؤمنون في عصور هؤلاء، والله إنها للسُّنَنِ.

هذه أبرز النتائج، وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن ينفع بكتابي هذا مؤلِّفَه وقارئَه، وأن يجعله نِبراسًا للأمة في مَعْلَمٍ من المعالِم الهامَّة للدين.

وما كان فيه من صواب فمن فضل الله وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان ـ نعوذ بالله منه ـ واللهُ ورسولُه منه بَراء.

• سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَىٰ المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ النبيِّ المختارِ وعلَىٰ آلِهِ الأبرارِ وأصحابِهِ الأطهارِ، ونحنُ معهم برحمةِ ربِّنا العزيزِ الغفَّارِ.



فهرس الجزء الثاني

الموضوع **الصفحة**

❁ ❁ ❁

➢ اقرأ في هذا الكتاب:

- **العلامات الصغرى التي لم تقع** (عشر علامات).
- **الفتن، وتشمل:**

(فتن الشهوات)، (فتن الشبهات)، (فتنة الدنيا)، (فتنة المال)، (فتن المحبوبات)، (فتن السلاطين)، (فتن الشيطان).

- **الفتن العظام:**

(فتنة الأحلاس)، (فتنة السراء)، (فتنة الدهيماء).

- **علامات الساعة الكبرى (العظام)، ومنها:**

(الدخان)، (القحط)، (الحجارة المسومة)، (تقارب الزمان)، (حسر الفرات عن جبل من ذهب)، (الخسوف العظمى)، (خروج أهل المدينة)، (المهدي المنتظر)، (الدَّجَّال)، (ابن صياد)، (أتباع الدجال)، (العواصم من الدجال).

- **مرحلة عيسى بن مريم** عليهما السلام.
- **يأجوج ومأجوج.**
- **علامات نهاية البشرية، وتشمل:**

(طلوع الشمس من مغربها)، (خروج الدابة)، (خراب الكعبة)، (الريح التي تقبض أرواح المؤمنين)، (خروج نار من اليمن)، (النار الحاشرة)، (آخر من يحشر)، (الحث على العطاء حتى اللحظة الأخيرة).

